

أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب
ونظريات البحث اللغوي الحديث
(في مجالي: مفهوم اللغة والدراسات النحوية)

تأليف

الدكتور حسام البهنساوي

جامعة القاهرة - فرع الفيوم

كلية الدراسات العربية والإسلامية

القاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مكتبة الثقافة الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديثة

(في مجال: مفهوم اللغة والدراسات اللغوية)

تمهيد :

يتبني أن نترك أن الربط بين الفكر اللغوي عند العرب ، ونظريات البحث اللغوي الحديثة، أصبح من المسائل الملحة والقضايا الهامة ، التي تطرح نفسها على أذهان العلماء والباحثين ، وبخاصة بعد ظهور علم اللغة الحديث ، كعلم مستقل ، له كيانه المتميز بين بقية العلوم الأخرى .

لقد استطاع هذا العلم ؛ الذي ثبتت أركانه ، ودعم قواعده ، أن يلج القضايا اللغوية المختلفة ، محلاً إياها ، وفق منهجية ثابتة ودقيقة . ونالت مسألة الربط بين التراث اللغوي القديم ، وقواعد البحث اللغوي الحديث ، أهمية واضحة لدى علماء اللغة المحدثين .

حقاً ، فإن فترة ليست بالقصيرة ، كانت الغلبة فيها لأنصار المنهج الوصفي البنوي ، الذي أولى فيه العلماء جل اهتمامهم لدراسة اللغات الحية والمنطوقة .

استمرت هذه الغلبة مسيطرة على دراسات العلماء وبحوثهم ، منذ انطلاقها على يد العالم اللغوي السويسري الشهير ، دي سوسير " De, Saussur " ، رائد المدرسة الوصفية البنوية الحديثة في أوروبا وفي أمريكا والشرق العربي على السواء .

وإذا كان ظهور المدرسة الوصفية البنوية ، يُعدُّ ثورة في عالم الدراسات اللغوية ، بما فعلته في ساحة هذه الدراسات ، فحاولت مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات ، فإن ظهور المدرسة التوليدية التحويلية ، في أمريكا ، على يد العالم اللغوي نعوم تشومسكي " N. Chomsky " ، يُعدُّ - أيضاً - ثورة لغوية كبرى في الربع الأخير من هذا القرن العشرين ، حيث بهرت هذه الثورة اللغوية - بما قدمته من نهج جديد - العديد من العلماء في أمريكا وأوروبا والشرق العربي على السواء .

إن العودة إلى التراث اللغوي ، من أجل الوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من آراء متطورة لهو من الأمور الهامة ، التي من شأنها أن تلقى على المواضع العديدة ، التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي

ولا يخفى علينا مدى الفائدة الكبرى : التي يمكن أن نتوصل إليها من خلال هذا الربط ، والذي بلاشك سيظهر مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمان .

لقد جاء كتاب : " الألفية الديكاريتية " ⁽¹⁾ ليكون مثلاً حياً ، على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي ، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهمة ، وبين المفاهيم القوية الحديثة .

لقد استطاع تشومسكي "N. Chomsky" في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر : التي تمثل التقاءً واتفاقاً ؛ بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية : وبين القواعد ، التي أرساها "ديكارت" فيما تعرف باسم "قواعد بورت رويال" .

كما نذكر من هؤلاء العلماء : الذين ربطوا بين الفكر اللغوي القديم ، ونظريات البحث اللغوي الحديث والذين أرخوا له ، من منطلق اهتمامهم بهذا الجانب ، نذكر كلاً من : لوروا : ⁽²⁾ " M. leroy " وإيبيتشي ⁽³⁾ " G.C. lepschy " وكذلك : جورج مونان : ⁽⁴⁾ " G.Mounin " وكريستيفا : ⁽⁵⁾ " J.Kristeva " وروينز ⁽⁶⁾ " R.M. Robins "

وإذا كان الربط بين التراث اللغوي القديم ، والفكر اللغوي الحديث ، قد حظي باهتمام واضح لدى العلماء الغربيين ، فإن جهود علمائنا العرب في هذا السبيل ، تُعدُّ قليلة - حقاً - إذا ما قيسَت بجهود العلماء الغربيين !

-
- (1) N.Chomsky : Cartesian linguistics, New york, 1960
(2) M, Leroy: Les grands courants de la linguistique moderne. Braxelles , 1963, 2em, Ed, 1971
(3) G,C, Lepschy: La linguistique structurale, trad, Francais , paris payot . 1966
(4) G, Mounin : Histoire des linguistique des Origines au x x . siecle paris p.u.f, 1967
(5) J, Kristeva : le langage cet inconnu, paris, seuil 1969
(6) R.M, Robins : Ashort history of linguistics, longman 1967. Green and co lid , london and Harlow trad Francise Ed seuil 1976

إننا لا نستطيع بحال من الأحوال . أن ننتهم تراثنا اللغوي العربي . بخلوه من التحليلات والملاحظات الجديرة بأن يُعاد النظر فيها من خلال ربطها بمناهج البحث اللغوي الحديث .

وعلى العكس من ذلك تماماً ، فإن اللغويين العرب ، قد أولوا اللغة العربية ، أقصى اهتمامهم ، وقدموا بالتالي الملاحظات المتعددة والقيمة حول قضايا اللغة . وأراؤهم هذه بالإمكان اعتبارها متطورة بالنسبة إلى زمانهم ، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلفات القدامى ، ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة . بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة : التي أتوا بها والتي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم اللسانية^(١)

وإذا كان اهتمام علمائنا من الباحثين والدارسين العرب ، على هذا النحو من الفترة : التي لا تتناسب مع الكم الهائل من تراثنا اللغوي الذاهر ، فإن عديداً من العلماء الغربيين ، قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً ، وجاءت جل أعمالهم من العمق والتطيل والدراسة ، بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية ، في لغتنا العربية ، مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات ، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى . ومن ثم فقد جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم ، ونظريات البحث اللغوي الحديث ، جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة . وإذا كان بعض علماء اللغة المعاصرين ، يرى أن تراثنا اللغوي العربي ، لم يحظ باهتمام العلماء الغربيين ، وأن الربط التاريخي بين مناهج درس اللغوي الحديث والفكر اللغوي العربي القديم ، حالت دون تحقيقه مجموعة من العوامل ، تتمثل في جهل علماء اللغة الغربيين باللغة العربية ، وتراثها اللغوي مما أدى إلى عدم الاهتمام بالنتائج اللغوية وعدم الاطلاع عليه . وأن هؤلاء العلماء ، قد أهملوا فترة القرون الوسطى ، بصفة عامة ، تلك الفترة التي تمثل ازدهار الفكر اللغوي العربي ، كما أنه يذكر أن نزعة الغربيين إلى تجاهل كل ما لا ينتمي للحضارة الغربية بصورة وثيقة . وأن روبنز " Robins " لم يخصص في كتابه " A short history of linguistics " سوى صفحتين

(١) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ٧

فقط لاستعراض الفكر اللغوي العربي ، وأن كريستيفا J.Kristeva لم تخصص سوى خمس صفحات للفكر اللغوي العربي حصرتها في بيان أهمية هذا الفكر في العصور الوسطى .

حقاً ، فإن إهمال العلماء الغربيين لفعالية التراث اللغوي العربي - بعامه - من خلال ربطه بالمناهج اللغوية الحديثة ، أمر واضح ؛ بيد أن ذلك ، لا ينبغي أن يدفعنا إلى القول بعدم اهتمام هؤلاء العلماء الغربيين بتراثنا اللغوي العربي ، فإن اعتراف هؤلاء العلماء الغربيين بتفوق الدراسات الصوتية عند العرب ، وأنه لم يسبقهم أمة من الأمم في هذا الشأن سوى الهنود ، واعترافهم بجهود العلماء العرب ، وتصنيفاتهم الجبارة في مجال الدراسات المعجمية، وأنه لم يسبقهم في هذه الدراسات سوى الصينيين ، لدليل أكيد على فعالية هذا التراث ومنهجيته .

فهذا هو العالم اللغوي المستشرق : " برجشتراسر " يقول عن تفوق العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية أنه : " لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود " ويقول اللغوي الإنجليزي : " فيرث " : " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتية ؛ ويذكر د. تمام حسان أن العلماء العرب ، قد أجادوا في دراسة مستوى الصرف إجادة ما تزال تستحوذ إعجاب اللغويين في مختلف العالم ؛ حيث يقول : " وهذه الشعبية من دراسة اللغة ، وإجادة القول فيها ، أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أي مكان آخر في عالم اللغويين قديماً وحديثاً . ولا يزال كشفهم عن النظام الصرفي موضع الإعجاب والاحترام ؛ وسيظل دائماً كذلك في نظر اللغويين في مختلف أنحاء العالم ^(١) " .

كما إن إشارة " روبنز " إلى أهمية الفكر اللغوي العربي ، إشارة جديرة بالاعتبار حيث يؤكد أن أي باحث ، لا يستطيع أن ينكر ما قدمه العرب من دراسات قيمة للغة ، بل أنهم أثروا على الأعمال اللغوية والتفكير النحوي عند اليهود في دراساتهم عن العبرية ، وذلك بعد اختلاطهم بالعرب بعد انتشار الإسلام وبعد بداية التأليف العلمي العربي . ^(٢)

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٥

(٢) Robins : Ideen und prolemge schiehte, S.7

علم اللغة ، نشأته وتطوره ٣٧

لقد جعل النحاة اليهود النموذج النحوي للغة العربية أساساً لوضع قواعدهم العبرية ، وأنهم جعلوا النماذج العربية المتنوعة في التأليف المعجمي ، أساساً ونموذجاً يحتذى في وضع المعاجم العبرية ! ويعد سعيدا الفيومي (ت ٩٤٢ م) المولود في مصر من أشهر علماء اليهود الذين اعتمدوا على الدراسات العربية ، فقد ألف معجماً سماه : أجرون Agron ، كما جمع رسائل نحوية بلغت نحو اثنتي عشرة رسالة بعنوان : " كتب في اللغات " كما أنه ناقش الأصوات الحلقية في سياقاتها المختلفة في مؤلفه : " كتاب الخليقة " كما أن عالماً لغوياً يهودياً آخر ، هو " يهودا بن جيوچ " قد تأثر هو الآخر بالنحو العربي ، وله في ذلك دراسات قيمة في اللغة العبرية ، تتجلى فيها هذا التأثير (١)

والحق أننا لا نعدم عدداً من العلماء اللغويين الغربيين ، الذين درسوا الفكر اللغوي العربي ، بل إنهم ألفوا لذلك أعمالاً ، خصصوها لذلك ، فهذا هو برجشتراسر ، يؤلف كتاباً بعنوان : " التطور النحوي " (٢) وذلك هو اللغوي يوهان فك " يؤلف كتاباً بعنوان : " العربية " (٣) كما أن " رابين " يؤلف كتاباً بعنوان " لهجات غربي شبه الجزيرة العربية القديمة " (٤) وغيرها من المؤلفات العديدة ؛ التي قام بدراساتها وتحقيقها وإلقاء الضوء على محتوياتها النفيسة للفكر اللغوي العربي ، عديد من العلماء اللغويين الغربيين !

إن افتقار المجتمع العربي إلى التخصص اللغوي ، أمر يرتدي أهمية خاصة ، فهو يؤكد أن إنقاذ ما يشكل قيعاً لغوية علمية من الإهمال ، لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعمال البحث

(١) انظر : البحث اللغوي عند العرب ٥٠ - ٥٧

(٢) التطور النحوي للغة العربية ، للمستشرق برجشتراسر - أخرجه وصممه وعلق عليه د/ رمضان عبدالقواب - القاهرة ١٩٨٢ م

(٣) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ليوهان فك - ترجمة د/ رمضان عبد القواب - القاهرة ١٩٨٠ م

(٤) قام الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن أيوب بترجمة هذه الكتاب تحت عنوان : " اللهجات العربية الغربية القديمة " الكويت ١٩٨٦ م

العلمي الرصين في مجال التراث اللغوي من منطلق لغوي حديث^(١)

ولعلنا في هذا الإطار من الربط بين تراثنا اللغوي ومناهج البحث اللغوي الحديث ، لا نعدم من الباحثين العرب من يولي اهتمامه في هذا الاتجاه ، على الرغم من ندرتهم ، حيث نجد الدكتور / تمام حسان ، يقدم بحثاً بعنوان : تعليم النحو بين النظرية والتطبيق في مجلة المناهل بالمغرب في العدد ٧ لسنة ١٩٦٧ م ص ١١٢ وما بعدها . كما أنه قدم بحثاً آخر بعنوان : إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً في ندوة اللسانيات واللغة العربية بتونس ١٩٧٨ م . كما قدم الدكتور / محمود عبد السلام شرف الدين بحثاً بعنوان : التركيب ومدى عناية اللغويين العرب بدراسته في مجلة اللسان العدد ١٢ لسنة ١٩٧٦ م ص ١٠٨ وما بعدها . ولستنا نعدم في هذا السبيل بعض المؤلفات ، نذكر منها كتاب : النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج ، للدكتور / عبد الرأحى بيروت ١٩٧٩ م وكتاب : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث للدكتور / نهاد موسى بيروت ١٩٨٠ م كما أن كتاب : الأصول ، دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، للدكتور / تمام حسان ١٩٨٢ م يعد إسهاماً في هذا السبيل . وكذا كتاب قواعد تحويلية للغة العربية ، للدكتور / محمد علي الخولي الرياض ١٩٨١ م وكتاب : العربية وعلم اللغة البنيوي للدكتور / حلمي خليل وكتاب : الألسنة التحويلية وقواعد اللغة العربية ، بيروت ١٩٨٢ م وكتاب : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون بيروت ١٩٩٢ م وكتاب : بحوث ألسنية عربية ، بيروت ١٩٩٢ وجميعها للدكتور / ميشال زكريا ، تعد - أيضاً - إسهاماً في هذا السبيل .

هذه المؤلفات وغيرها تعد إسهاماً جليلاً في إلقاء الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع مناهج البحث اللغوي الحديث .

إن مثل هذا العمل يعد مطلباً ملحاً ، وأمرأ ينبغي أن تتبناه المؤسسات العلمية والمجامع اللغوية والهيئات المتعددة المعنية بدراسة تراثنا العربي .

فالجهد التي ذكرناها ، قد توصل العديد من أصحابها إلى نتائج جد مهمة ، حيث أثبتت بعض هذه الدراسات أن الفكر اللغوي العربي ، له فضل السبق في كثير من القضايا

والمباحث اللغوية ، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث - سواء أكانت هذه المناهج الوصفية البنيوية ، التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة ، زمناً ليس بالقصير ، منذ أن أصل معطياته اللغوي السويسري ، دي سوسير في أوائل القرن العشرين ، أم كانت هذه المناهج ، التوليدية التحولية ، أحدث المناهج اللغوية الحديثة وأدقها والذي نال من الشهرة والذيع والاهتمام قدراً كبيراً ، في الربع الأخير من القرن العشرين . ويهتم هذا البحث بالربط بين التفكير اللغوي عند العرب ، وبين المناهج اللغوية الحديثة وبخاصة في مجالين اثنين .

المجال الأول : ويتمثل في مفهوم اللغة عند العلماء العرب .

المجال الثاني : ويتمثل في الجهود النحوية عند العلماء العرب .

المبحث الأول :

مفهوم اللغة عند العلماء العرب :

لقد اهتم بعض العلماء العرب بتعريف اللغة وتوضيح ماهيتها ، فقاموا بوضع تعريفات جديدة بمناقشتها وبيان مدى فعاليتها وعمقها ، والحق أن نظرة متفحصة في هذه التعريفات تؤكد لنا باليقين العلمي أن هذه التعريفات - على قدمها - تقف على قدم المساواة ، وإن لم تسبق في بعض النقاط - مع أحدث التعريفات اللغوية لمفهوم اللغة . وإن استعراضاً لتعريفات العرب لمفهوم اللغة ، من شأنه أن يؤكد هذه المقولة .

- لقد قدم لنا اللغوي الألماني " ابن جنى " تعريفاً للغة في باب القول على اللغة وما هي ، يقول فيه : " أما حدُّها ، فإنها أصوات يُعبَّرُ بها كل قوم عن أغراضهم ، وهذا حدُّها ، وأما اختلافها فلما سننكره في باب القول عليها : أمّاوضعة هي أم إلهام " (١)

فحدُّ اللغة عند ابن جنى عبارة عن أمور ثلاثة وهي : (٢)

(١) الخصائص ١ / ٣٢ .

(٢) انظر : بحوث السنية عربية ٦٠ .

١ - اللغة عبارة عن أصوات . ٢ - اللغة وسيلة التعبير عن أغراض الأقوام .

٢ - تنوع اللغات وتعددتها بحسب أقوامها ومتكلمها .

قدم ابن جنى إلى جانب هذه التعريف مجموعة أخرى من التعريفات ، حول أصل اللغة ومفهومها ، وقد خصص لذلك باباً سماه : باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح^(١) استعرض فيه قول القائلين بأنها إلهام ، ذاكراً أن شيخه أبا علي رحمه الله قال: إنها من عند الله ، وأنه احتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة ٢/٢٨) . كما استعرض رأى القائلين بأن أصل اللغة لا بد فيه من الموضوعة . " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء بالمعلومات ، فيضعوا لكل واحد منهما سمة ولفظاً ، وإذا ذكر عُرف به مسماء ، ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ... " (٢) كما استعرض - أيضاً - قول بعضهم: " أن أصل اللغات كلها ، إنما هو من الأصوات المسموعات ، ككوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل . " (٣) ثم يقول بعد ذلك كله : " إننى على تقادم الوقت ، والتقدير عن هذا الموضوع ، فأجد النواهي والخواالج قوية التجاذب لى ، مختلفة الجهات ، تقول على فكرى ، وذلك أننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقّة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام ظفوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما حذّره على أمثلتهم ، فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه وأماده ، صحة . ماؤفقوا لتقديمه منه . ولطف ماأسعوا به ، وفُرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وأرد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جلّ وعزّ ، فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وحى " (٤)

(١) الخصائص ١ / ٤٠

(٢) الخصائص ١ / ٤٠ - ٤٤

(٣) الخصائص ١ / ٤٤ - ٤٦

(٤) الخصائص ١ / ٤٦ - ٤٧

(٥) الخصائص ١ / ٤٧

كما يعرفها ابن سنان الخفاجي بقوله : " اللغة هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام " (١) وقد شرح ذلك ابن جنى ، فيما سبق عرضه عن رأى القائلين بالاصطلاح فى أصل اللغة ، ويهمننا أن نذكر أمرين صدد التعريف وهما :

١ - اللغة من وجهة نظر هؤلاء اصطلاح واتفاق بين متكلميها .

٢ - اختلاف الاصطلاح والاتفاق باختلاف الأقوام .

كما يعرفها ابن العاجب بقوله : " حد اللغة ، كل لفظ وضع لمعنى " (٢) ويتفق معه الأسنوى فى تعريفه بقوله : " اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني " (٣) ويتفق معهما - كذلك - الكيا الهراسى فى تعريفه اللغة فى قوله : " فوضعوا الكلام دلالة ، ووجدوا اللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولاً للترداد " (٤) بيد أن الكيا الهراسى يفصل لنا رأيه قائلاً : " وهذا الكلام ، إنما هو حرف وصوت ، فإن تركه سدى غفلاً امتد وطال ، وإن قطعه تقطع ، فقطعوه وجزوه على حركات أعضاء الإنسان ، التى يخرج منها الصوت ، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى القم ؛ فوجدوه تسعة وعشرين حرفاً لا تزيد على ذلك ، ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة ، ثم رأوا أن الكفاية لا تقع بهذه الحروف ؛ التى هى تسعة وعشرون حرفاً ، ولا يحصل له المقصود بإفرادها فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً ، هذا هو الأصل فى التركيب ، وما زاد على ذلك يُستثقل فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف الا بطريق الإلحاق والزيادة لحاجة ، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك لأن هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية مواردها ومصادرهما متناهية ؟ (٥) فلدت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة

(١) سر الفصاحة ١ / ٢٢

(٢) المزهر ١ / ٨

(٣) المزهر ١ / ٨

(٤) المزهر ١ / ٣٦

(٥) يتفق هذا القول فى جزئه الأول : القائل بأن موارد اللغة ومصادرهما متناهية ، يتفق مع الرأى الذى ذكره همبولدت وأقره عليه تشومسكى ، من محتوية وسائل اللغة ، فى حين يختلف فى جزئه =

وحدة لسميات عدة ثم وضعوا بإزاء هذا على بقيضه كلمات لمعنى واحد والصاع
مجنولة على معاداة المعاداة ، فحالفوا بين الألفاظ والمعنى الواحد^(١)

والحق أن التعريفات لثلاث السابقة لكل من بن الحاحب والأسنوى والكياء لهرأسى
تركز على أمور خمسة وهي

١- اللغة عندهم جميعاً عبارة عن مواضعة واصطلاح

٢- اللغة عند كل من بن الحاحب ولأسنوى ، وصفت للدلالة على المعنى

٣- اللغة عبارة عن أصوات يرددھا اللسان ، كما ينفرد بذلك الكياء لهرأسى

٤- أصوات اللغة محدودة متناهية

٥- مفردات اللغة وكلماتها محدودة هي الأخرى ومتناهية

ويعرفها ابن خلدون في مقدمته بقوله : " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه ،
هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانى ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ،

= الثانى ، القائل بأن الكلمات متناهية ، عن رأى هوبولت السابق الذى ذكره تشومسكى قائلاً
بأن " اللغة تستخدم بشكل محدود ، وأن قواعد اللغة ، يجب أن تصف العمليات التى تجعل هذا ممكناً
" مظاهر النظرية النحوية ٢٥ ويقول أيضاً " من الآن فصاعداً ، نعتبر اللغة كناية عن مجموعة
(متناهية أو غير متناهية) من الجمل ، كل جملة منها طولها محدود ، ومكونة من مجموعة متناهية من
العناصر ، وكل اللغات الطبيعية في شكلها المكتوب والمطوق تتوافق مع هذا التعريف ، وذلك لأن كل لغة
طبيعية تحتوى على عدد متناه من القوانين ، وكل جملة بالإمكان تصورها كنتاج من القوانين طمأ
بأن عدد الجمل غير متناه " the Hague Mouton trad 1957 , p15 " Syntactic structure
francaise Ed seuil, 1969"

ولعلنا نلمس بوضوح من خلال هذا النص ، رؤية بنيوية ، جديرة بالاعتبار ، عندما يحدثنا الكياء
الهرأسى عن الأصوات التى تخرج من أقصى الرئة إلى منتهى الفم وأنه لا يحدث بإفرادها
المقصود ، فركبوا من الكلام ثدياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً ، وقوله هذا هو الأصل في التركيب "

انظر المهر ١ / ٣٦ - ٣٧

(١) المهر ١ / ٣٦ - ٣٧

فلابد أن نصير ملكة متقررة هي العضو لفاعل وهو اللسان ، وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتها ^(١) ثم يؤكد ابن خلدون أن اللغة ، إنما هي وسيلة لتعبير الإنسانى بعامه ، حيث يقول كل منهم أهل المغرب و الأندلس و المشرق - متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده ، وإبابة عما في نفسه ، وهذا هو معنى اللسان واللغة ^(٢) كما يذكر ابن خلدون أن المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة ويدل عليه دلالة دقيقة ^(٣)

وليس من شك في أن تعريف ابن خلدون السابق لمفهوم اللغة ، يعدّ تعريفاً دقيقاً ، يتفق في كثير من جوانبه ، مع أحدث ما توصلت إليه قرائع علماء اللغة الغربيين المعاصرين ، على الرغم من التباعد الزمني فيما بينه وبينهم ، ولعل عرضاً لما يتضمنه تعريف ابن خلدون من جانب مختلفة حول ماهية اللغة ، يوضح ذلك

ينضمن تعريف ابن خلدون للغة ، مجموعة الجوانب والمسائل الآتية ^(٤)

١ - اللغة : هي عبارة المتكلم عن مقصوده .

ومعنى ذلك أن اللغة عند ابن خلدون ، تعد وسيلة يمتلكها المتكلم ، ويعبر بواسطتها عن أفكاره ومتطلباته فهي الوسيلة التي تميز الإنسان عن غيره من سائر الكائنات الأخرى

٢ - اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحاتها.

ولعلنا ندرك هنا أن ابن خلدون يحدد اللغة الإنسانية في صورتها الكلية باعتبارها ملكة تخص الإنسان وحده ، وأن هذه الملكة تظهر عند كل أمة في شكل لغة خاصة بهذه الأمة .

وليس من شك في أن الطابع الاصطلاحي للغة الذي يقول به ابن خلدون ومعظم العلماء العرب السالف ذكرهم ، يعد من الأمور التي تشير إليها النظريات الحديثة ، فاللغة

(١) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٢٦٤

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٢٨٤

(٣) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٣١٨

(٤) مضر لملكة التسمية ١١

وسببية تعبير قائمة في بيئة معينة ، على عادة جماعية ، أو بتعبير آخر على اصطلاح معين . إن الطبيعة في اللغة هي بالذات التي تسبج لتكلميها لمواصل عبر قناة توصلة ذاتية بثبات الاصطلاح على الدلالات ، التي تعبر عنها الألفاظ في اللغة الواحدة ^(١) . والدلالة هي بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فإذا عرف اصطلاح في ملكة وشتهر صحت الدلالة وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت لبلاعة ولا عبرة بقوانين لصحة في ذلك . ^(٢)

ولعله من الجدير بالذكر هنا أن اللغة من هذه الروية ليست نتيجة قرار سياسي أو ثقافي ، التزمت به مجموعة أفراد في بيئة معينة ، بل هي كيان طبيعي وليست بالتألي من وضع إناس معينين معروفين أم غير معروفين ، بل هي تستمد من عصور سابقة ^(٣) وهذا ما يصرح به ابن خلدون بقوله : ^(٤) واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة ، إنما هو النقل عن العرب ، أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني ، لا نقل أنهم وصنعوها لأنه متعذر وبعيد ، ولم يعرف لأحد منهم ^(٥)

٣- دور تلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن القصد بإفادة الكلام .

حيث يقرر ابن خلدون كون اللغة فعلاً إنشائياً يقوم الإنسان بتأديته عبر اللسان ، وهذا الفعل نابع عن إرادة فكرية ، وهي القصد بإفادة الكلام فاللغة الإنسانية ، نشاط إنساني مصدره الفكر الإنساني وهي تصميم ذاتي ، فالإنسان يستعمل اللغة للتعبير عن مواقفه من الظروف المحيطة به ، فهي بالتالي ، عمل عقلي ، وفعل صريح ، يقوم به كل فرد بقدر ما

(١) الملكة اللسانية ١٢ غير أن بعض العلماء يرفضون القول باصطلاحية اللغة ، وأن ما يقرره هؤلاء يتعارض مع النواميس العامة ، التي تسمير عليها النظم الاجتماعية ، فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ، ولا تخلق خنقاً ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ، هذا إلى أن التواصل على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواصمون انظر علم اللغة ٩٨ ٩٩

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٣٢٦

(٣) الملكة اللسانية ١٣

(٤) مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٢٧٢

يقصد استعمالها ^(١)

٤ - فلا بد أن تصير ملكة متقروة في العضو الفاعل لها وهو اللسان

فابن خلدون يقرر أن اللغة قائمة عند الإنسان ، لأنه امتلك هذه الملكة اللسانية ، حيث إن
مقدرة لإنسان على التكلم ورعا ملكة لسانية ، كتسبها الإنسان ، وهي التي توجه عمله
التكلم

بعد ما يتهيب من استعراض مفهوم اللغة باعتبارها ملكة لسانية ، عبد بن خلدون ،
وما يتضمنه هذا التعريف من وجوه وجوانب أربعة ، يجدر بنا أن نقدم للتعريفات المختلفة
لمفهوم اللغة عند العلماء المحدثين الغربيين ، لتعرف إلى أي مدى كان ابن خلدون والعلماء
العرب ، موفقين في الإحاطة بمفهوم اللغة وبجوانبها المختلفة التي تشتمل عليها .

تعريفات اللغة عند العلماء الغربيين المحدثين

أ - أنثريه مارتينييه A. Martine

يقول مارتينييه " إن اللغة ، أداة تواصل ، تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة
في كل مجتمع إنساني عبر وحدات ، تشتمل على محتوى دلالي ، وعلى عبارة صوتية " ^(٢)

يتضمن تعريف مارتينييه السابق على الجوانب الآتية

١ - تعد اللغة وسيلة أساسية للتواصل بين متكلميها .

٢ - تقوم اللغة على أساس الوحدات الصوتية ، التي تشتمل بدورها على دلالات معينة

٣ - تختلف اللغات في المجتمعات الإنسانية من مجتمع إلى آخر

ويبدو واضحاً أن مارتينييه ، يركز على وظيفة هامة في اللغة ، ألا وهي وظيفة التواصل
بين متكلميها ، حيث يقول - إن الإشارة إلى اللغة كوسيلة أو كأداة للتواصل ، تلفت الانتباه
إلى ما يعبر للغة عن مؤسسات أخرى ، إن وظيفة هذه الأداة (اللغة) الأساسية ، هي وظيفة

(١) انظر الملكة السادسة ١٣

(2) A. Martine Elements de linguistique generale paris Armand collin p20 1960

«تواصل»^(١)

ب - أنطون مايه A Meillet

يقول مايه إن اللغة تنظيم متعسك مرتبط بوسائل التعبير المشتركة بين مجموعة متكلمين ولا وجود لهذه التنظيم خارج الأفراد^(٢) ، الذين يتكلمون للغة (أو يكتبونها) مع ذلك ليس هذا التنظيم المستقل عن كل منهم ذلك لأنه يعرض نفسه عليهم ، وقعه هو وقع مؤسسة اجتماعية متأصلة في لأفراد ، ولكن في لوقت نفسه مستقلة عن كل منهم ، وهذا ما يتوافق بالذات مع التعريف الذي وضعه دور كايم فيما يتعلق بالأمر الاجتماعي^(٣)

ج - إدوارد سابير 'F. Saper'

ويعرفها بقوله إن اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان ، يستعملها لاتصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤيها بصورة اختيارية وقصدية^(٤)

د - بلوخ وترايجر 'Bloch and Triger'

ويعرفاها بقولهما " إن اللغة تنظيم رموز صوتية كيفية يتعاون بواسطتها أفراد مجتمع معين " ^(٥)

(1) A. Martine Elements de linguistique generale, p20

(2) A. Meillet linguistique historique khmesreck , vol 11) p p 72 73 1952

(3) E. Sapir language New york , p.8 1921

وضع هذا التعريف مع أيدي المقائق التالية عن اللغة

أ - اللغة نشاط إنساني مكتسب وليس غريزيا

ب - اللغة وسيلة الاتصال الإنساني

ج - اللغة نظام

د - اللغة رموز

هـ - اللغة اصطلاح

و - اللغة أصوات إنسانية

امير اللسان والإنسان حيث التعريفات التي قدمها د - حسن طاعا حول هذا التعريف ٢٨ وما بعدها

4 Bloch and Triger Outline of linguistics Analysis Baltimore linguistics society of America

وسمى أن يذكر لتعريف لسابق تتضمن مسألتين هامتين ، في إطار الاتجاه البيوي لدراسة اللغة (١)

١ - اللغة تنظيم "ي" أن اللغة تتكون من كل منظم من العناصر التي تعمل كمجموعة، ولا يكون لعناصر التنظيم ، إذا أخذت على حدة أية دلالة يحد ذاتها بل تقوم دلالتها فقط عندما تربط ببعضها وبالتنظيم ككل

٢ - الرموز طبيعتها كيفية أي إنها غير معلة فالرمز يركز على اصطلاح جماعي كلى يشير إلى ما يرمز إليه ، فهو لا يخضع بالتالي لأي قياس عقلي ، بل إن الرابط الذي يجمع بين أفراد الرمز وما يرمز إليه هو رابط كيفية

هـ - دي سوسير " De. sousser "

ويرى دي سوسير أن اللغة عبارة عن تنظيم محدد جيداً في كتلة من العناصر المتغايرة لحقائق الكلام ، وأنه يمكن وصفها في جزء محدد من الدائرة الكلامية عندما تجتمع الصورة السمعية مع الفكرة فاللغة عنده عبارة عن نظام من العلاقات التي توحد المعاني والصور الصوتية فيها الشئ الأساسي والوحيد ويكون فيها قسما العلامة بفسيين (٢)

لقد هذا على نهج دي سوسير عديد من العلماء في تعريف اللغة ، نذكر منهم

١ - هال " R A Halle "

يرى هال أن اللغة " هي المؤسسة التي يتواصل بواسطتها البشر ويتفاعلون فيما بينهم بواسطة رموز شفوية سمعية ، ذات كيفية مستعملة بالعادة (٣)

فاللغة من وجهة نظر هال " Hall " تعد وسيلة تواصل قائمة على رموز كيفية ، وهذه الرموز تنتقل من المتكلم إلى السامع ، فهي شفوية عند المتكلم ، وسمعية عند السامع إلا

(١) اللغة اللسانية ١٦

(٢) محاضرات في علم اللغة العام ٢٨ - ٢٩

31 R A Halle An Essey of language philadelphia and New york chilton books. p 158, 1968

أنتنا ملاحظ أن " هال " يضيف إلى تعريفه مسألة أن اللغة عادة ، ولنظر إلى اللغة من حيث بها عادة إنسانية نظرة بهذه علماء اللغة لانيويون وخصوصا الأمريكيون ، بتأثير من النظرة السلوكية في علم النفس^(١)

ومن هؤلاء العلماء ، اللغوي الأمريكي لشهير بلومفيلد L Bloomfield الذي يقول بأن " الكلام (الأصوات) لخاص " الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مشر معين ، يختلف باختلاف لمجموعات لشربية فالشر ينكمرون لغات متعددة كل طفل يتزعرع في مجموعة معينة يكتسب هذه العادات الكلامية والاستجابات في سس حياته الأولى^(٢)

أما نعوم تشومسكي ' N Chomsky ' فإنه يرفض تلك النظرة الآلية إلى اللغة ، من حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال لمثيرات والاستجابات ، ويؤكد تشومسكي في هذا الصدد أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي يتزعرع فيها بالاستناد إلى قدرته الفطرية على اكتساب اللغة تلك المقدرة التي يطلق عليها مصطلح " الكفاءة اللغوية " أو " القدرة الإبداعية " حيث يقول " يشير مصطلح الكفاءة اللغوية إلى قدرة المتكلم - المستمع لمثالي - على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته " ^(٣)

ويقول - أيضا - " إن كل من يملك لغة معينة ، قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص - فهذا الإنسان قد طور في ذاته ما نسميه بالكفاءة اللغوية^(٤)

ويحدد تشومسكي مفهوم اللغة في ضوء ما أسلف من توضيح وتبيان بقوله " من الآن فصاعداً تعتبر اللغة كناية عن مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل ، كل جملة

(١) انظر الملكة اللسانية ١٧

(2) L. Bloomfield . Language london, Allen unurn, p29 1935

(3) N. chomsky . The formal Nature of language appendix . p,126,1967 to E. H. lonneberg biological foundations of language trad francars , de , N,Chomsky, 1966

(4) N, Chomsky The formal Nature of language Appendix p. 125, 1967

يؤكد تشومسكي أن اللغة ملكة فطرية ، وهي وحدة من وحدات العقل / الدماغ ، تنتج معرفة باللغة على أساس من لتجربة المائلة ، إذ إنه ليس بقضية حلالة ، أن البشر يحصلون معرفة بالإنجليزية أو اليابانية أو غيرها من اللغات ، على حين أن الصعور أو الطيور لا تفعل الشئ نفسه تحت الظروف نفسها المعرفة اللغوية هي غير أنه يذكر أيضاً أن اكتساب اللغة مسألة إصاقية إلى محروون لقواعد عند لمرء ، أو تعديل حد البضم حين تعالج مادة جديدة لمعرفة اللغوية A1

منها طولها محدود ، ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية هي شكلها المكتوب والمنطوق تتوافق مع هذا التعريف وذلك لأن كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات ، وكل جملة بالإمكان تصورها ككتابتها من الفونيمات ، علماً بأن عدد الحاصل غير متناهٍ^(١)

ومن الواضح أن تشومسكي يركز في تعريفه للغة على خصائصها الشكلية تلك الخصائص التي يمكن درستها دراسة علمية ، فهو لا يحلل اللغة من زاوية كونها وسيلة اتصال أو تعبير ، بل يحللها من زاوية كونها " مجموعة جمل تحتوي على شكل صوتي ، وعلى تفسير دلالي يقترن بهذا الشكل وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يوضح هذا التوافق بين لصوت ودلالة"^(٢)

تقوم نظرية تشومسكي إذن على فكرة الكفاءة اللغوية لدى متكلم اللغة ، حيث إن متكلم اللغة ، حيث إن متكلم اللغة الذي يتدبر في بيئة معينة يكتسب كفاءته اللغوية في هذه البيئة ، بمعنى أنه يكتسب معرفة ضمنية بقواعد اللغة ، تمكنه تلك المعرفة من إنتاج جمل لغته وتفهمها ، ومن ثم فإن قواعد الكفاءة اللغوية هي موضوع الدراسة اللغوية

(1) N Chomsky syntactic structures , p,15,1957 The Hague mouton trad francais Ed seuil 1969

(2) N. Chomsky Language and mind , new york , p,25, 1968 Francaise Ed Seuil. Paris, 1970.

ويتضمن تعريف تشومسكي للغة مجموعة الحقائق الآتية

- أ الإنسان موهوب بقدرة لغوية فطرية عامة تمكنه من استخدام اللغة
 - ب جمل اللغة وليس مفرداتها ، هي محور نشاط الاتصال الإنساني أداماً وفهماً
 - ج اللغة وسيلة لفهم طبيعة العقل البشري
 - ويمكننا في ضوء هذه الحقائق أن نتعرف مجموعة أسس ، تتصل بمفاهيم اللغة ووظيفتها وهي
 - ١ اللغة أصوات إنشائية إرادية
 - ٢ وظيفة اللغة الاجتماعية هي الاتصال والتعبير
 - ٣ لغة نظام رمزي
 - ٤ لغة نظام صوتي وصرفي وبحوي ودلالي
 - ٥ اللغة قدره فطرية عامة في بني البشر
- مصدر: النحو العربي والدرس الحديث ١١٢ وما بعدها

وبعد فقد عرضنا فيما سلف لتعريف اللغة عدد كل من لعلماء العرب من جهة
وعند العلماء العربيين على شتى مناهجهم ونحاهاتهم من جهة أخرى
ولا يفوننا أن نذكر أن العلماء العرب ، قد جمعوا في تعريفاتهم ، عددًا من المسائل ،
يمثل مظاهرها ، عند العلماء العربيين لمحدثين ، ويكاد تغريبهم من حيث لكونه وهذه
المسائل هي ^(١)

- ١ - اللغة عبارة عن أصوات ٢ - اللغة تتألف من كلمات
- ٣ - اللغة وسيلة التعبير عن 'غرض' لقوم
- ٤ - اللغة تتنوع ويختلف باختلاف أصحابها
- ٥ - اللغة مواصفة واصطلاح
- ٦ - اللغة وضعت للدلالة على المعاني
- ٧ - أصوات اللغة مطبوعة متناهية وكذا مفرداتها ،
- ٨ - الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة
- ٩ - كلمات اللغة تتكون من وحدات منفصلة
- ١٠ - اللغة قائمة على مستويين وهما مستوى الأصوات ومستوى الكلمات
- ١١ - اللغة فعل لسانى
- ١٢ - اللغة ملكة لسانية
- ١٣ - اللغة عملية مقصودة لذاتها
- ١٤ - لغة ميرة إنسانية مكتسبة

يظهر هذا الحصر للمسائل لقي ذكرها لعلماء العرب ، في تعريفاتهم للغة ، أنهم
يمثلون إلى حد كبير ما ذكره علماء اللغة لغربيين من مسائل مختلفة للغة ، وأن هؤلاء
العلماء العربيين لم يريدوا في تعريفاتهم للغة إلا خمس مسائل فحسب عن العلماء العرب ،

(١) انظر «الملكة» السابعة ٢٢ كذا - بحوث النسيبة عربية ١٥

في حين ذكر لعلماء العرب ثلاث مسائل لم يذكرها العلماء لغربيين وهذه المسائل هي ^١

- ١ - اللغة تتكون من كلمات ٢ - الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة
- ٣ - اللغة فرع لسانی

أما المسائل الخمسة التي لم يذكرها العلماء العرب ، وذكرها لعلماء لغربيين فهي ^{١٢}

- ١ - الوحدات الصوتية متغايرة فيما بينها ٢ - جمل اللغة غير محدودة
- ٣ - اللغة تنظم من الإشارات أو الرموز ٤ - اللغة تنظم من القواعد
- ٥ - اللغة عادة كلامية يكتفيها المثير

يؤكد هذه المقارنه في تعريف اللغة فيما بين العلماء العرب القدامى ، والعلماء اللغويين الغربيين المحدثين مدى إحاطة العلماء العرب لقدامى بمفهوم اللغة وإبرازهم للعديد من المسائل الهامة ، التي تختص بها اللغة - أية لغة - وأن الفروق يسيرة للغاية فيما بينهم وبين لعلماء الغربيين ، على الرغم من البعد الزمني الكبير ، وقلة وسائل البحث واعتماد العلماء العرب على إمكانيات ذاتية خاصة تتمثل في عمق إدارتهم وثاقب نظرهم تلك الإمكانيات والقدرات ، ينبغي أن تبعث فينا الحافز والهمة من أجل إبراز هذه الجهود العظيمة ، لتحظى بالمكانة اللائقة التي تستحقها

(١) انظر بحوث السمية عربية ٧١ وكذا الملكة السامية ٢٠

(٢) انظر بحوث السمية عربية ٧٢ وكذا الملكة السامية ٢ ، ولقد أدرك علماء العرب أن اللغة تنظم من القواعد ، بالرغم من أن أحداً منهم لم يذكر ذلك في تعريفه للغة

المبحث الثاني . الجهود النحوية عند العلماء العرب

تمهيد

ليس من شك في أن العلماء العرب ، قد بذلوا جهوداً مشكورة ومحمودة في دراسة النحو العربي لا ينكرها إلا حاحد ، ينحاز إلى غير الحق والحقيقة

لقد شعر هؤلاء لعناء عن سواد لجد وستهصوا عزائمهم الصادقة وشحدو همهم لإنشاء علم يحفظ العربية ، لغة لقرآن الكريم ، من اللحن و لاندثار

فلقد كان لدفع عندهم هو لحفاظ على لغة لقرآن لكريم دستور لإسلام ومنهاج لمسلمين ، فما تواتت عزائمهم ولا ستكانت همهم ، بل طفقوا يدققون فيما بينهم ويتناقسون بهدف الوصول إلى الصواب في قواعدهم

إسنا لا نستطيع أن نقول بأن العلماء لعرب ، قد أصابو في جميع ما ذكروه في دراسة أبواب النحو لمختلفة ، أو أنهم قد استخدمو منهجاً عمياً التزمو به ، أو اتبعوا مسلكاً موحداً من لدرس والتحليل فلم يكن هذا الهدف المثالي مواتياً لهم أو متوافراً بين أيديهم في هذا الزمان المتقدم ، ولم تكن منهجية البحث من الأمور التي يمكن تحقيقها وتنفيذها ، سواء بالنسبة للعلماء العرب ، أو بالنسبة لغيرهم من لعلماء لغريبيين

إن كتاب سيبويه ، الذي يعد أول كتاب في النحو العربي ، يصل إلينا ، بعد حقاً كتاباً كاملاً متكاملأ في عرض جميع أبواب النحو والصرف والأصوات لعربية كما يعد نموذجاً حقيقياً لهج لنالكيف العربي في هذا المجال ، حدا حنوه عند من العلماء لفترة ليست مائقصيرة

إن الربط بين أبواب النحو والصرف والأصوات ، لم يكن وارداً في ذهن سيبويه ، وهو يصنع كتابه «الكتاب» ، فلسنا نلمح ما يؤكد أن سيبويه رعى أن يجعل الجملة النحوية ، هي قمة لدراسات للعوبة وأن هدف للعوى أو لنحوى ، يسعى أن يرتكز على تحليل لجملة النحوية عندما جعل أبواب النحو ومسائله في أول الكتاب ، وأنه أدرب حقاً

أن مستويات الصرف والأصوات والدلالة ، إنما تأتي في المقام الثاني باعتبارها مستويات تفسيرية ، عندما أحرقها بعد أبواب النحو ، كما هو الحال في لنظرية التوليدية لتحويله إلى بعد أحدث لنظريات اللغوية في أحدث للعوى الحديث . كما أن سيوييه لم يشأ أن يبدئ كتابه بمسائل الأصوات ، ثم يتبعها بمسائل الصرف ، منتهياً بأبواب النحو ومسائله موصفاً لأصوات في خدمة الصرف ، ثم يوظف لأسية في البدء لنحو ، كما هو الحال عند علماء المنهج السيوي ، لم يكن سيوييه يعي هذا الترتيب أو يعي مخالفته له رافضاً لمنهجيته ، رصياً بالمنهج التوليدي لتحويله

والحق أن سيوييه ، وهو يؤلف الكتاب ، لم يضع في حسبانته شيئاً من هذا ولا ذاك ، وبالرغم من ذلك ، فإنه لا نعدم في ثنايا الكتاب أبواباً تتفق في تناولها مع أسس لبنائية وقواعدها كما لا نعدم أبواباً أخرى ، تتفق في تناولها مع أسس لتوليدية التحويلية وقواعدها ، ناهيك عن الأبواب الأخرى العديدة ، التي جاءت متفقة مع المنهج التقليدي وقواعده

ونقدم ، فيما يلي ربطاً بين الدراسات النحوية عند العرب ، ونظريات أحدث للغوى الحديث

أولاً الاتجاه التقليدي :

ينبغي أن نؤكد أن علماء هذا الاتجاه ، من اللغويين والنحاة ، يتمسكون بمفاهيم لا يحدون عنها ، فهم يتمسكون بقواعد اللغة وبالحرص على نقائها وفصاحتها ، مع ضرورة أن تتضمن اللغة مفهوماً جمالياً ، يقوم على اعتماد الصيغ اللغوية ، التي توصف بالصيغ لحسنة ، ستناداً إلى معيار جمالي بحث ، فوظيفة هذه القواعد لتقليدية في المقام الأول- هو المحافظة على أصالة اللغة وترسيخ مفهومها الجمالي^(١)

ومن ثم ، فإن هذا النهج يعتمد على الأمثلة والشوهد القديمة ، مع لئسك ضرورة القياس على معيار صحتها ، باعتبار أن الأقدم - دائماً - هو لأفصح والأصوب ولذلك

(١) ينظر مباحث في النظرية الأسية

كان حقاؤهم وسماعهم بالأصول اللغوية المكتوبة

وإذ كانت لتقليدية ، قد سادت لتفكير اللغوي العامة ، النحوى مخاصه فترة صوبية من الزمان ، سوء عند العلماء العربيين أم عند لعلماء العرب على لسوء . إذ إبت لا يعثر على تطور أو تعبر دى بال على هذه لقواعد حول فترة صوبية ، وإذ ما عند إلى التقسيمات النحوية اليوبانية ابتداء من " دينيس دى ترس أو "بولون ديسكور هيت لا بعد تعبيراً قد طرأ عليه سوال لقرون لوسطى ولا مصادفنا طول تلك لفترة بحوث تاريخية مقارنة خارج إطار هذا المنهج ، إلا فى سنة ١٩١٠ م حيث كتاب "بروجيس ودلرك" " لأساس " وهو أشهر كتاب نحو مقارن فى اللغات الهندوأوروبية وإذا كانت الدراسات النحوية التقليدية ، عند العلماء العربيين ، لم تكن ذات مسار أو اتجاه واحد ، وإنما حامت فى صورة مريج من الآراء وخليط من الأفكار ، ووجهات النظر المتباينة ، التى ظهرت عبر عصور مختلفة واستخدمتها مدارس لغوية متعددة ، اعتمدت فيها على آراء وأقوال عند تركيب الجملة عند أفلاطون وأرسطو ، كما اعتمدت كذلك على نظريات عن أجزاء الكلام ، تعود إلى الرواقيين واعتمدت أيضاً - على أفكار عن المعنى وطبيعته فى بعض فترات القرون الوسطى ، واعتمدت - كذلك - على فرضيات عن علاقة اللغة بالفعل منحدرة من قواعد وضعت فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا ، كما أنها اعتمدت على دراسات عن تاريخ اللغة ، تعود إلى القرن لتاسع عشر^(١)

هسمة لخلط والاضطراب هذه ، التى تميز هذا المنهج التقليدى فى الدراسات اللغوية والنحوية فى أورب نجد مثيلاً لها فى الدراسات النحوية التقليدية ، عند العلماء العرب ، حيث حامت أعمال هؤلاء خليطاً من أمشاج وأنوع شتى من لاتجاهات والأفكار والمبادئ التى يصعب أن يعثر على الحيوط بينها أو أن نترك مدى ارتدادها بعضها ببعض ، من هذه الاتجاهات ومايصاحبها من أفكار ومبادئ ليس من المنابر أن نجد لتناقض بينها واصحاً ، أو أن نحس بالاضطراب الناتج عن محاولة تطبيق هذا الخليط لتتناسو من

(١) انظر : أصبه على الله سدر اللغوية المعاصرة ٢ - وكذا

D. Crystal: Linguistics p. 4

ساليب البحث ^(١) ويمكننا أن نوجز الأساليب والاتجاهات التي تتبعها لنحدا العرب على لوجه الآتي ^(٢)

١- الاتجاهات الفلسفية والمنطقية .

ويظهر أثر هذه الاتجاهات في كثير من مشكلات النحو العربي من أهمها : مشكلة العامل ، وما تفرع عنها من قضايا فرعية لا حصر لها ، فالعامل لا بد أن يعمل ، ولابد أن يكون له أثر ظاهر أو مقدر وكل معمول لابد له من عامل ، وعن هاتين القضيتين ، تفرعت مسائل ضخمة ، عرفت بالتعقيد والتعسف من ذلك مثلاً ، مسائل لحذف والاستتار ولتنازع ولاشتعال ^(٣)

(١) دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني ٥٤

(٢) انظر دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني ٥٤ - ٥٧

(٣) لقد أصبحت نظرية العامل ، من أحدث النظريات اللغوية ، التي تركز على أساسها الدراسات النحوية ، عند علماء المدرسة الترابيرية التحويلية

ومعلوم أن النحو العربي قائم على فكرة العامل ، وإلى القليل بن أحمد ، له دور كبير في تثبيت أصول هذه النظرية ، وأنه هو الذي مد فروعها ، وأحكمها إحكاماً ، بحيث أخذت صورتها على مر العصور ، فلقد كان يرى أنه لا بد لكل رفع أو نصب أو خفض أو جزم في كلمة من عامل يعمل في الأسماء والأفعال المعربة ، وكذلك المهيبة والعامل إما أن يكون المظني ، مثل المبتدأ ، الذي يعمل الرفع في الخبر ، والفعل الذي يعمل الرفع في الفاعل والنصب في المفعولات ، وإما أن يكون العامل منصوب ، مثل الابتداء الذي يعمل الرفع في المبتدأ والعامل منها الأنوات ومنها العروف ، ومنها ما هو جارم ومنها ما هو منصوب ، ومنها ما ينصب بعده ويرفعه كالفاعل مثل إن وأخواتها ، حيث يقول سيبويه " رعم الخليل أن هذه العروف عملت عملية الرفع والنصب ، كما عملت الرفع والنصب ، حين قلت كلن أخاك زيد ، إلا أنه ليس له أن تقول كلن أخوك عبد الله ، تريد كلن عبد الله أخوك ، لأنها لا تتصرف تصرف الأفعال ، ولا يضمم فيها المرفوع كما يضمرون في كلن ومن ثم فرقوا بينهما ، كما فرقوا بين ليس وما ، فلم يجرها مجراها ، ولكن قيل في بمنزلة الأفعال عيب بعدها ، وليست بأفعال الكتاب ٢٨٠/١

وبالعوامل عدة تعمل ، سواء أكانت ظاهرة أم محسوسة ، ولك أن العوامل تحذف ، فإن المفعولات في الأخرى تحذف واعتصم لكاتب سيبويه ، يرى كيف أن سيبويه ، قد عوّل على هذه النظرية في أبواب الكتاب كلها لو يكاد وتحفل جميع كتب النحو العربي بهذه النظرية وبالاعتماد على أسسها وقواعدها ، ولم نجد أحداً منهم يختلف عن سابقيه سوى ابن مضاء ، الذي أنكر - فقط - أفراد النحاة في بعد العوامل وخروج النحاة من مجرد نقول بالعامل الأول إلى الإصرار في البحث عن عامل العامل ، وعامل عامل العامل ، وهكذا في كتابه " نود على النحاة " فقد أوصيهم عبد القاهر إني مائة عامل في كتابه " العوامل لانة " وسوف يؤكد لنا مدى حنقال لنظرية الترابيرية التحويلية بهذه الفكرة العامل وأن نظرية العامل والربط السياقي government binding theory =

٢ - التأويل والافتراض

والالتحاء إلى التأويل دليل التدافض في الأحكام ، يتيح له صواب المنهج و عدم دقتها ، ومعلوم أن التأويل ماهر لا محاولة ، نحن القوعد نتمشى مع قواعد منطق علماء بأن قضايا المنطق ، لا يجوز تطبيقها على قواعد النحو ومن هنا جاءت محاولات لاجراء لتفسير عمل البناء وإعراب^١

٣ - المعيارية

اعتمد النحاة العرب على معيارية وكان اتجاههم سلباً - عديم حيث سسوا ، لقوعد وفق قوالب معينة من اللغة ، لا يحدون عنها تلك القوالب هي ما يجب أن يتكلمها الناس ، ومن هنا جاء اهتمامهم بتحليل لغة من لشواذ والشواذ ، بقصد المحافظة عليها من الحزن والتخريف

- ويبقى أن يؤكد أن النهج التقليدي عند النحاة العرب قد تأكدت صحته في كثير من المعالجات ، التي قاموا بها وأن سلوكهم في هذه المعالجات ، قد جاء متوافقاً مع ما تنادي به أحدث النظريات اللغوية التي ترى بأن القواعد التقليدية ، ليست بهذه الصورة من عدم لرفع أو الاحتياط ، أو أنها " ليس لها ما تعلما ، بل العكس ، فقد نبست بعض الصفات لميزة في الجملة ، سوء في المستوى الدلالي أو المنطقي أو الصوتي ، ولكن هذه

== هي من أحدث ما توصلت إليه النظرية ، وذلك عند الحديث عن الربط بين نظرية العامل عند النحاة العرب ونظرية العامل والربط لسبب في عدد تشومسكي

(١) لقد اعتمد تشومسكي في النظرية التوليدية التحليلية في بناء نظريته على الفلسفة العقلية لذهنية روبرت ماثي في عدد لأمر بالعالم العقل "ديكارث" وجماعة النحاة الذين بالدنيا وكذلك يمارسون مورت رويال " التي كانت متداراً طبيعياً للمنهج العقل عند ديكارث كما تأثر بالفكر هوبوت " humboldt " حيث يقول " ليس من الجديد نقول ، اللغة مبنية على أساس نظام من القوالب التي تقرر بغير جمل اللغة الكبيرة بغير حدود ، فلقد عبر هوبولد عن هذا بشكل واضح قدر ما يريد على اقرب في مقدمته لعم اللغة المشهورة ، ولو أنه نادراً ما هو هوبولد ولقد كانت وجهة نظره الفاتكة إلى اللغة تستخدم بشكل غير محدود وسائل محدودة (أو قواعد اللغة) محب أو تصف عمليات التي تجعل هذا ممكناً كانت وجهة نظر هذه نتائج لا يهتم من ضمن الفلسفة العقلية لغة و العقل بهذا الجانب الخلاق للاستعمال للمعنى معاصر نظرية لمعوية ٢٥

لصفات ، لم تكن هي لصفات «لمتارة تركيبياً» ، ثم إنها جمعت حول اللغات التي درستها
 كدساً صحيحة من الأحداث التركيبية ، وصفت وحللت ثم رُتبت باعتبارها على الرغم من أن
 ترتيب قد جاء دائماً - متايها بالنسبة إلى هيكل اللغة ، فحياً جاء الترتيب وفقاً
 لمقاييس شكلية (كوجود اسم لموصول أو أداة التعريف أو لجعل لمتفرعة) وحيهاً آخر جاء
 وفقاً لمقاييس دلالية ، في حالة عدم توفيقها مع لمقاييس لشكلية ^(١)

ثانياً . المنهج الوصفي البنوي .

يعد دي سوسير هو رائد المنهج الوصفي البنوي ، ويمكننا أن ندرك من خلال
 لمفاهيم التي أرساها ، وثقت أركانها ، أن لبنويته تقوم أساساً على تحليل عناصر اللغة ،
 بالاستعانة بالعناصر الأخرى ، التي تشتمل عليها تلك اللغة ، حيث يقوم الباحث بوصف
 لعناصر لصوتية ، محاولاً من خلالها الوصول إلى تكوين الوحدة المورفولوجية ، لتكون -
 بدورها - العبارات فالجمل وينبغي أن نؤكد أن المدارس اللغوية الحديثة ، التي ظهرت في
 أوروبا وأمريكا ، تنتسب جميعها بشكل أو بآخر إلى هذا المنهج فالمنهج البنوي ينظر
 إلى اللغة على أنها مؤسسة جماعية ، تفرض نفسها على الأفراد ويتناقل بطريقة جبرية من
 جيل إلى جيل آخر منذ أن كان الناس تستشف أشكالها من أشكال سابقة تنحدر هي
 نفسها من أشكال أكثر بدائية وهم حراً ، دون توقف من أصل وحيد ، أو أصول أولية
 متعددة من جهة أخرى تدل كل كلمة على مفهوم يشكل معناها ^(٢)

(١) انظر مقاييس الأسية ١٧

(٢) السبوية جان بييه ٦٧ كما يذكر ليون Lyons أن لبنوية عبارة عن النسخة التي جمعت بين مدارس
 مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين وبهذا المعنى يمكن نقول بأن المدارس اللغوية الحديثة عند دي سوسير
 وحتى شومسكي تنتمي إلى المذهب البنوي بصورة أو بخرى لأنها جميعاً تقوم بأن اللغة عبارة عن نظام يتكون من
 عدة أنظمة ، فهي من حيث كونها مجموعة من العلامات أو الرموز ، إلا أن هذه العلامات ، وتلك الرموز تتكون أولاً من
 أصوات يعشها أعضاء لطق إنساني وتتركها الآذن وهذه الأصوات يتركب بطريقة اصطلاحية في وحدات ذات
 دلالات تسميها لكلمات ولجمل وكل ذلك يشكل في النهاية طريقة محصورة لنظم في اللغة ، وهي لنظام لصوتي
 ونظام لغوي ونظام لنحوي والنظام الدلالي وجميعها ذات وجود مستقل اسمه النظام اللغوي ويعبر دي
 سوسير هو وضع الأصول الأولى للنظرية لبنوية بهذا المعنى بما أرساه من مبادئ في تحليل اللغوي ودراسة اللغة
 وحدها المتفرقة بين مدرسته لوصفية والدراسة التاريخية نظرية شومسكي اللغوية ٦٤

وإذا كانت السية وتحليلها ، هي هدف علم اللغة البنيوي ، فقد كانت - أيضاً - هدف النحاة وعلماء اللغة في التراث لعربي ، فكتاب مسبوويه ، يشتمل على عناصر بنيوية ، كما أن نحاة عربية لأوائل ، مثل الحليل ومسبوويه ، قد مبرروا بين مستويين من مستويات لدرسة النحوية

المستوى الأول ويتمثل في رصد لأداء وتنسجه ، وتمثله القواعد المجردة التي يجب عليها الطابع لتعليمي

المستوى الثاني ويتمثل في علاقة المسمى بالمعنى ، وتمثله لعلاقات لتركيبية مختلفة بين الكلمات داخل الجملة أو بين لحمل وبعضها ، فقد أدرك لنحاة العرب - بحق - العلاقة بين المعنى والمعنى والمبنى عندهم يبدأ من أصغر الوحدات ، متمثلاً في لأصوات والحروف في حين تمثل الجملة أكبر لوحات بناءً

فلم يكن إذن خافياً عليهم - بحال من الأحوال - مفهوم ثنائية التركيب ، الذي يعد من أهم خصائص البنيوية ، فلم يكن هدفهم لأوحد هو لقول بالصواب والخطأ اللغوي فحسب ، بل إنهم ينطلقون في أبحاثهم إلى فكرة التضام والتركيب وما ينشأ عن هذه لفكرة من علاقات ، لقد تجلت هذه لفكرة ، مع نهاية القرن الرابع الهجري ، عند ابن جني من علماء اللغة ، وعند عبد القاهر الجرجاني من علماء البلاغة (١)

(١) يقول عبد القاهر الجرجاني " ومعلوم أن ليس بنظم سوى تطبيق الكلم بمصنف بسبب من بعض والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف ، والتطبيق فيما بينهما طرق معلومة ، وهو ٧ يعدو ثلاثة أقسام ، تطبيق اسم باسم ، وتطبيق اسم بفعل ، وتطبيق حرف بهما دلائل الإيجاز ٤

ويقول أيضاً " فهذه هي الطرق والوجوه في تعق الكلم بمصنف ببعض ، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه ، وكذلك السبيل في كل شيء كان له مدح في صحة تعق لكلم بعضها ببعض لا ترى شيئاً من ذلك ، يعدو أن يكون حكماً من أحكام النحو ومعنى من معانيه " دلائل الإيجاز ٨

كما يذكر - أيضاً - بأنه يجب أن ، تتحدد أجزاء الكلام ، وينسب بمصنف في بعض ويشترط ارتباط ثلثها بقول وأن يحتاج في الجملة إلى أن يصنفها في النفس وضعاً واحداً فمن ذلك أن تزواج بين معصبي في الشرط وانجزاء دلائل الإيجاز ٩٢

ويقول أيضاً وينظر في الجمل التي مبررة فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه =

لقد كان بعض النحاة العرب مبركين للعلاقة بين مستويات اللغة ، وضرورة اعتماد مسائل النحو على المعطيات الصرفية والصوتية ، يأتي في مقدمة هؤلاء النحاة ^١ لرجاجي و السكاكي ^٢ ففي حين حاول لرجاجي تطبيق تلك الفكرة ، من ضرورة اعتماد النحو ومسائله على أبواب الصرف و الأصوات ، إلا أنه حقق في ذلك ولم يوفق كل لتوفيق ^٣ فبين سكاكي، قد اكتفى بإدراك تلك العلاقة ، دون تصديق عملي لها ، مكتفياً ببيان ضروره اعتماد أبواب النحو على مسائل الصرف و الأصوات

إن الفكر اللغوي الذي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة ، يعنى بتعريف الكلمات وصلاتها لاشتقاقية وصورها الإسنادية والإضافية، من حيث الفصل والوصل مع إبراز لطابع العنصوي لأنماط اللغة ، وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع ثم الربط بين الصورة والوظيفية التي تؤديها الصورة في نظام ^(١) كل هذه الأمور والمسائل المختلفة ، حفلت بها كتب النحو العربي وتأليفه ولم تكن خافية على أذهان النحاة العرب من إنهم أدركوها وعالجوها باقتدار بحسب لهم

كما إن فكرة الضمان ، تلك الفكرة التي تعتمد على تحديد المكونات الكبرى للجملة ، من خلال الاعتماد على علاقات خاصة بين كلمة وأخرى في داخل الجملة ، هي أقوى من علاقة هذه الكلمات ببقية عناصر الجملة ، لم تكن ، هذه الفكرة بغريبة أو بعيدة عن متناول فكرهم وطرحهم للمسائل النحوية ، لقد عرضها النحاة العرب ، وبنوا عليها بعض تحليلاتهم للجملة ، لكن هذه التحليلات ، جاءت في إطار تحديد نوع العلاقة بين كلمات الضميمة ، وسموها علاقة إضافة تارة أو علاقة وصل تارة أخرى أو علاقة تبعية تارة ثالثة أو علاقة

^١ الوصل موضع "أبواب" من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم "وموضع" لو "من موضع" أم

وموضع لكن من موضع بل دلائل الإعجاز ٨

كل ما يترك انصوح تؤكد أن أمام عالم بديك حقيقة العلاقات النحوية بين أبوابه المتعددة كالإسناد بين المسند والمسند
به وتحديد بين الفعل والمفعول به والسببية بين الفعل والمفعول لأجله - نظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٦

(١) نظر بغير النحو بين النظرية والتطبيق د. عماد حسن ، مجلة الماهر - العرب - عدد ٧ سنة ١٩٦٧ من ١١٢ وما بعدها

إن نظام التحليل إلى المكونات ، تلك الفكرة التي تأسست لدى علماء اللغة لسويين في أمريكا وبخاصة عند بلومفيلد ، في كتابه الشهير 'اللغة' language لم يكن هذا الشكل من التحليل - أبداً - بعيداً عن أذهان النحاة العرب ، فلقد استشعره النحويون العرب في الإعراب وصدرو عنه ، حتى إنها لتعد من قبيل تخصص لحاصل لدى المشتغلين بالعربية ومعلميها (٢)

لم تكن التوزيعية ، التي تأسست في احضان المدرسة السبوية الأمريكية ، والتي نلمح بداياتها عند زيلج هاريس z Harris "في كتابه مناهج في علم اللغة البنوي 'Methodism in structural linguistics' وكان لكل من هوكيت Hokett وجليسون Gleason دور كبير في تبويبها ونشرها ، كما كان للغوي الإنجليزي فريز "Fries" فضل كبير في إبرازها عملياً حيث قام بتطبيقها تطبيقاً شاملاً على اللغة الإنجليزية في كتابه التركيب في الإنجليزية "Structure of English" وبعد هذا التطبيق نموذجاً للتركيبات التوزيعية (٣)

تركز هذه النظرية على تعريف أقسام الكلام تعريفاً مكانياً بحيث لا تعرف بوظيفتها التركيبية التامة ، وإنما بتوزيعها وحده (أي جميع الكلمات التي يمكن أن تشغل نفس المجموعة من المواضع) فكل عنصر لغوي له سياقات محددة ، يأتي فيها ، وسياقات أخرى لا يقع فيها .

لم تكن هذه النظرية - في عمومها - بغريبة أو بعيدة عن تناول النحاة العرب ، وليست فكرة التضام التي تظهر وضحة في أعمال لنحاة العرب إلا تطبيقاً لمفهوم لتوزيعية ، ولقد عرف النحاة العرب أنواع التضام المختلفة ، وحددوا الكلمات التي ينبغي أن تقع في توزيع معين ، ولا تقع في توزيع آخر ، لأنها لا تصلح لذلك ، فالأساس في توزيع

(١) تعليم النحويين: نظرية و لتطبيق ١١٢ وما بعدها

(٢) نظرية النمو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث - بيروت ١٩٨٠ ص ٢٩

(٣) انظر الأكاديمية (علم اللغة العام) المبادئ والأعلام ١ ٤

لوحداث اللغوية مرتبط بما يحيط بها أو بما يحاورها من وحدات أخرى ، هذا الأساس هو ما قام به العلماء لعرب في أبواب الإضافة والتوزيع والجواب وغيرها من أبواب

ثالثاً المنهج التوليدي التحويلي .

يرى تشومسكي أن اللغة " كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل . كل جملة منها طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية ، هي شكلها المكتوب والمنطوق ، تتوافق مع هذا التعريف ، وذلك لأن كل لغة طبيعية ، تحتوي على عدد متناهٍ من العويمات ، وكل جملة بالإمكان تصورها كتتابع عويمات ، علماً بأن عدد الجمل غير متناهٍ " (١)

ومن ثم فإن هذه النظرية لم تُعر الوصف أهمية تعادل الهدف الرئيسي ، المتمثل في إعطاء تفسير لهذه الظاهرة العقلية الإنسانية ، التي تسمى اللغة ، ومن هنا كان الشغل الشاغل لهذه النظرية ، هو تحديد صيغة القواعد اللغوية ، التي تمثل ذلك النظام الذهني ، فالقواعد هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه النظرية ، لأنها النظام الذي عن طريقه يولد المتكلم - متكلم اللغة المعنية - كل الجمل في لغته

وينبغي أن نؤكد أن تشومسكي يرى أن النظرية اللغوية ، يجب أن تحلل قدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يفهمها ، فيقوم عمل عالم اللغة على صياغة القواعد ، التي بمقتورها إنتاج مادة البحث أي القواعد القائمة ضمن مقدرة متكلم اللغة ، على إنتاج الجمل وفهمها " وفي هذا العدد يقول روث : " إن الواقعة الرئيسية التي يجب أن يحيط بها عالم اللغة هي الآتية يستطيع كل شخص راشد ينطق بلغة معينة أن يرسل في كل وقت وبصورة تلقائية عدداً لا متناهياً من الجمل أو أن يدركها ويفهمها ، وذلك دون أن يكون قد تلفظ بمعظم هذه الجمل أو سمع بها مطلقاً ، يمتلك كل شخص إذن بعض الاستعدادات لمخصوصة جداً والتي يمكن أن ندعوها بكفائة اللغوية " (٢)

(١) N. Chomsky Syntax structures the hague monton trad p . ٩ 1969

(٢) انظر اكتساب اللغة ١٢ وعدد هذا يقول تشومسكي عن اللغة التي يتم وصفها ودرستها بواسطة فر عة نحوية

معينة - أنها عبارة عن جميع الجمل التي تولدها هذه اللغة ، وهذه الجمل إما أن تكون جملاً مصنوعة العدد

والنظرية اللغوية كما حددها تشومسكي ، بخص (المتكلم ، السامع) المثالي ،
 لمتنى إلى جماعة بشرية ذات تعامل كلامي تام المعارف لغة ، تلك الجماعة معرفة زمة ،
 ولدى لا يكون منائر محدود لا صلة لها بالقواعد ، كالذكرة المحدودة أو تحول الانتباه أو
 عدم المتابعة أو الأخطاء الكلامية العشوائية أو التواتر حين يطبق معرفته اللغوية في
 مجال الأداء الكلامي^(١)

ولسنا في محال يسمح بالحديث عن ماهية لمصطلحات ، التي اعتمدت عليها
 لنظرية، والتي تُعد أساساً في سائها مثل لفرق بين الجمل لأصولية ولجمل لمقبولة
 وأن الجمل لأصولية ، تستمد أصوليتها من البنية ، العميقة ، التي تمثل القدرة الكامنة أو
 لكفاءة اللغوية وأن لجمل المقبولة تستمد مقبوليتها من البنية السطحية ، التي تمثل لأداء
 لكلامي المنطوق

إن نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية لتحويلية ،
 وبين لقواعد النحوية ، التي أرساها العلماء العرب ، لتؤكد لنا ، أن لحو العربي ، لم يكن
 بعيداً عن هذه الأسس والأفكار فإن علماً شامخاً من أعلام تراثنا العربي ألا وهو
 العلامة عبد القاهر لجرجاني ، بجده وقد سبق تشومسكي إلى تحديد هذه الفروق الدقيقة

= أو غير محدودة العدد وأن عدد الجمل في اللغة الإنجليزية ، وغيرها من اللغات الطبيعية غير محدود ، أو على
 الأقل من الصعب حصره ، لأن هناك جملاً ومبارات في اللغة الانجليزية ، قد تطول وتمتد إلى غير نهاية ، ومع ذلك فهي
 جمل عادية ومقبولة من المتكلمين بهذه اللغة "

ولسنا ندم نماذج لهذه اللغة في اللغة العربية ، فقد ذكر ابن هشام في كتابه ' مفاتيح اللبيب ' هذا النوع من الجمل المركبة ،
 وسماها الجمل الكبرى ، فالجملة الكبرى قد تكون اسمية ، وقد تكون فعلية ، والاسمية يكون حد حبرها جملة نحو قولنا
 ' ريد قائم أبوه ' والفعلية نحو قولنا ' ظننت ريداً يقوم أبوه ' كما أن الجملة منته تكون كبرى وصغرى ، فقولنا
 ريد أبوه علامة منطلق جملة كبرى ، وقولنا ' غلامه منطلق ' جملة صغرى ، فالجملة الكبرى تتألف من أكثر من جملة ،
 فتارة تتألف من جملتين اسميتين ، وتارة تتألف من جملتين فعليتين

فالجمل العربية إذن تطول وتمتد ، شأنها في ذلك ، شأن اللغات للسعة الأخرى ولعل الجمل التي لا محل لها من لإعراب
 وجمل الصلة والصفة والحال ، وجعل الاستئناف والجمل الاعتراضية والتفسيرية وغيرها ، خير دليل على ذلك
 وعلى الرغم من أن لجمل اسباقية ، هي لمسئلة عن مهمة الامتداد والسطوح في الجملة الكبرى فإنها دائماً تكون
 محدودة بعدد ، لكن عددها غير محدود

(١) مظاهر النظرية لنحوية ٢٧

بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة ، حين فرق بين للنظم والترتيب والبناء ،
و لتعليق فجعل النظم للمعاني في النفس ، وهو تماماً ، البنية العميقة عند تشومسكي أما
النساء ، فهو البنية السطحية لحاصلة بعد لترتيب بواسطة الكلمات كما أن التعليق هو
الجانب الدلالي من هذه للكلمات لتي في لسباق^(١)

- لم تكن فكرة التفسير العقلي للغة وقواعدها بعيدة عن إدراك عدد لقاهر ووعيه ،
مقد بما بقواعد اللغة منحي عقلياً ، شأنه في ذلك ، شأن النظرية التوليدية التحويلية عند
رائدها " تشومسكي " ، الذي يؤكد أن الشغل الشاغل ، هو تحديد صيغة القواعد اللغوية ،
لتي تمثل ذلك النظام الذهني والقواعد إرس هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه
لنظرية حيث يصرح قائلاً " ليس الغرض بنظم أن توات ألفاظها في النطق ، بل أن
تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي تقتضاه العقل "^(٢) ويقول أيضاً ، وأما
نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني ، وترتبها على حسب
ترتب المعاني في النفس ، فهو إرس نظم نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعصه مع بعض ، وليس
هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء ، كيف جاء واتفق "^(٣)

- إن القدرة اللغوية ، التي تمثلها الكفاءة الذاتية الكامنة ، التي يمتلكها كل متكلم أو
مستمع جيد للغة ، والتي من شأنها أن تسمح لصاحبها بقواعد عبارات وجمل لا نهائية ،
ولتي تعد من أساسيات النظرية التوليدية التحويلية لم تكن هذه القدرة اللغوية بخافية -
كذلك عن إدراك عدد القاهر أو عن إدراكه لدى أهميتها ، فهو يقول " اعلم أن ليس
لنظم ، إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ،
وتعرف مناهجه ، التي تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تُخلُ بشيء منه "^(٤)
ولعل ذلك يؤكد لنا مدى إدراك هذا العالم الجليل بقواعد الكفاءة الذاتية ، التي ينبغي أن

(١) نظر بطليم المحو بين النظرية والتطبيق مجلة المدخل العدد ٧ سنة ١٩٦٧ من ١١٤ بالمغرب

(٢) دلائل لإعجاز ٥١

(٣) دلائل لإعجاز ٤٩

(٤) دلائل لإعجاز ٨١

توفر لكل متكلم مستمع جيد للغة ، ومن ثم فإن الجمل التي يتم توليدها وفقاً لقواعد الكفاءة الذاتية ، إما هي حمل أصولية ، لأنها تنتمي إلى لكفاءة الذاتية ، الصحيحة التي لا يحظى صاحبها لأن رسحة هي ذهنه وسرح لسليقة ، ويسبغ على المتكلم أن يرعى قواعد صحتها ، لكي يكون كلامه صحيحاً وجمله سليمة ، ويجلي له ذلك في قوله ذلك أنا لا تعلم شيئاً يبتغيه الناظم منظمه ، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، يصير هي الخبر إلى لوجوه التي تراها هي هوك "ريد مطلق" و"ريد ينطلق" و"ينطلق ريد" و"منطلق ريد وزيد المطلق" و"المنطلق ريد" و"ريد هو المنطلق" و"زيد هو مطلق" (١) هذه جميعها جمل أصولية صحيحة استوت قواعد الكفاءة الذاتية وجاءت متوافقة مع الصحة لقاعدية ، التي وضعها علماء النحو في باب "الخبر" (٢)

ويقدم عبد قاهر الجرجاني نماذج أخرى من الجمل العربية ، التي تمثل كفاءة لغوية صحيحة ومن ثم فإنها تعد جملاً أصولية ، تراعى كما أسلفنا الصحة القاعدية ، التي وضعها علماء النحو ، ففي باب الشرط والحزاء يقول "وفي الشرط والحزاء (ينظر الباحث إلى) الوجوه التي تراها في قولك "إن تخرج أخرج" و"إن خرجت خرجت" و"إن تخرج فأتا خارج" و"أنا خارج إن خرجت" و"أنا إن خرجت خارج"

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك "جأني ريد مسرعاً" و"جأني يسرع" و"جأني وهو مسرع" و"هو يسرع" و"جأني وقد أسرع" فيعرف لكل من ذلك موضعه ، يجي به حيث ينبغي له

(١) دلائل الإعجاز ٨١

(٢) يؤكد تشومسكي ، أن النظرية اللغوية يجب أن تحلل قدرة المتكلم على أن ينتج جمل التي لم يسمعها من قبل ، وعلى أن يفهمها ، فيقوم عمل عالم اللغة ، على صياغة القواعد التي يصفورها إنتاج مادة لبحث ، أي القواعد القائمة ضمن مقدرة متكلم اللغة على إنتاج الجمل وفهمها

وتكون الجمل أصولية ، عندما يأتي في تركيبها تركيباً سليماً جيداً وتكون هذه الجمل ، مركبة وفق قواعد مسببة تقود عملية التكلم وتطبقها التكلم بصورة لا شعورية وتكون الجملة أصولية يجب ألا نحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تعين توافيق العناصر اللغوية ، في مستويات اللغة الثلاث : المستوى الصوتي والتركيبي ودلالي انظر مباحث في النظرية الانسية وتعليم اللغة ١١

ويُضَر في أحرف لتي تشترك ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فصنع كلاً من ذلك في خاص معناه ، نحو أن يجيء دـ ما في معنى لحدّ وـ لا إدّ ، راد معنى لاستقْدل ، وـ إنّ هما يترجح به أن يكون وـ أن لا يكون ، وـ إذا فيم علم أنه كائن [ويُضَر في الجمل التي تُسرد ، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع لوصل ، ثم يعرف ما حقه لوصل موضع ، لو وـ من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع وـ أو من موضع أم وموضع لكن من موضع تدّ وينصرف في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإسمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له ، ثم يؤكد عبد القاهر ضرورة توفر الصحة القاعدية ، إلى جانب توفر صحة الكفاءة الدتية ، التي لا تكون الجمل أصولية إلا بها بقوله " هذا هو السبيل ، فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو ، وقد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه أو صومل بخلاف هذه العامة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له " (٢) .

وفي مقابل تلك النماذج ، التي تمثل الكفاءة اللغوية الصحيحة ، وتعد من ثم جملاً أصولية ، يقدم لنا عبد الجرجاني ، مجموعة من الأشعار ، التي خرقت في نظمها قواعد الأصولية ، ومن ثم فإنها ليست أصولية لأنها خرقت قواعد التصنيف الجزئي ، كما يطلق عليها في النظرية التوليديّة التحويلية ، ينكر ذلك عبد القاهر قائلاً " فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وبذلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجنته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه (٣) ويقدم الجرجاني مجموعة من أشعار الفرزدق والمنتبي وأبي تمام ، يؤكد من خلالها فساد نظمها لكونها خرجت في نظمها على معاني

(١) دلائل الإعجاز ٨١ ٨٢

(٢) دلائل الإعجاز ٨٢ ٨٣

(٣) دلائل الإعجاز ٨٣

لنحو وحكامه لى يدعى لرامها حيث بقول فى قول اعرردو (لطويل)^(١)

وما مثله فى الناس لا ممكنا أبو أمه حي^٢ نوه يقاربسه

وقول المتننى (لكامل)^(٢)

ولد اسم أعصية لعيون جفونها من لها عمر لسيوف عوامل

وقوله (لكامل)^(٣)

الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا غتسلت العاصل

وقوله (الطويل)^(٤)

وقائق كما كالرئع أشجاء طاسمه من نُسعد والدمع أشفاء ساجمه

وقول أمى تمام (الكامل)^(٥)

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن كاشين ثار إذا هما فى لغار

(١) يريد " وما مثله فى يقاربه إلا ممكنا ، أبو أم ذلك لملك أبوه ، فنل يرد على أنه حاله ويصحب " مملكا " لأنه استثناء مقدم ، ما يجوز الشاعر فى الضرورية ٢٥٠

(٢) قدم المتننى المركب التكميلى (عمل السيوف) المفعول المطلق على المركب الاسمى اسم الفاعل (عوامل) الذى يعمل عمل الفعل ، فى قوله (من لها عمل السيوف عوامل) ولا يجوز هذا التكليم عند النحاة بقول ابن لسراج " وكذلك اسم الفاعل الذى يعمل عمل الفعل حكمه حكم الفعل " يعنى بذلك عدم جواز تقديم اسم الفاعل على معموله الأصول ، لابن السراج ٢٢٨/٢

ويقول أيضاً " أباد عود ذلك زيد صارب قبيح ليعد العمل على الذى عمل فيه ، وبنعماك زيد يأكل أبوه لا يجيرها الفراء ، ولا يجير " أكل " الأصول ٢٤٤/٢

(٣) وأما قوله (والماء أنت إذا اغتسلت الغاس) فإنه يريد أن يقول والماء العاصل أنت إذا اغتسلت فيه ، فخر لصفة على الموصوف ، ولحصل يذهب بالجمع لفصل أنت يقول بن لسراج " ولا تقدم شيئاً مما يصل لصفة على الموصوف " الأصول ٢٢٥/٢

(٤) وأما قول المتننى (وهلازك كالربع من نُسعد) فإنه يريد أن يقول (وهلازك من نُسعد كالربع) حيث قدم جملة بصفة على الموصوف ويشتد ذلك عند النحاة سطر لأصول ٢٢٥،

(٥) قدم أبو تمام المصنف إليه على المصنف فى قوله (كاشين ثار إذا هما فى لغار) وكان حقه أن يقول كاشى ثين إذا هما فى لغار يقول ابن لسراج " ولا يجوز أن تقدم على مصنف ولا ما يصل به " الأصول ٢٢٦ / ٢

وقوله (النسيط)

بدي لمن شاء رهن لم ينق جُرعا من رحتك دري ما الصاب والعسل

وهي بطائر ذلك مما وصغوه بفساد النظم ، وعابوه من جهة سوء التأليف ، أن الفساد والخلل كان من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه في هذا الشأن على غير الصواب ، وضع من تقويم أو تأخير أو حذف أو إصمار أو غير ذلك مما ليس له أن يضعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم ^(١)

ثم يلخص الأمر كله بقوله " وإذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله ، أن لا يعمل بقوانين هذا الشأن ، ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها " ^(٢) وينبغي على الباحث أن يعول على قواعد الصحة ، سوء هي الكفاية الذاتية ، أم في الجمل الأصولية أم في الصحة القاعدية ، حيث يقول " ثم إذا ثبت أن مستتب صحته وفساده من هذا العلم ، ثبت أن لحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه ، وإذا ثبت جميع ذلك، ثبت أن ليس هو شيئاً غير توخى معاني هذا العمل وأحكامه فيما بين الكلم . ^(٣)

ويقدم الجرجاني مجموعة من الأبيات الشعرية ، يؤكد فيها توفر عناصر الكفاية الذاتية التي تمكن صاحبها من أن ينشئ جملاً أصولية ، تراعى في ذات الوقت الصحة القاعدية ، وذلك في تعليقه على قول البحتري

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى	فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَدِيثَا	تُ عَزْمًا وَشِيكَا وَرَأْيَا صَلْبِيَا
تَتَقَلُّ فِي خَلْقِي سِسْوِد	سَمَاحًا مُرَجِي وَيَّأ سَا مَهِيْبَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جَنَّتْ صَارِحَا	وَكَالْبَهْرِ إِنْ جَنَّتْ مَسْتِيْبَا

(١) دلائل الإعجاز ٨٤

(٢) دلائل الإعجاز ٨٤

(٣) دلائل الإعجاز ٨٤

سجده يعلق على هذه الآيات بقوله فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأحر وعرف وبكر ، وحذف وأصغر وأعد وكرر وتوحي على عمله وحياً من لوحه اسي تقتضها عم النحو^(١)

لقد أحاد عبد قاهر أيما إحادة عندما حسن لضم ، وهو ما يطلق عليه لسمه العميقة في نظريه لتوليديه التحويلية ، حعه يقتضى في بضمه اثار معاني وتوئها على حسب ترتب المعاني في النفس ولذلك كان عدهم نظيراً للنسج والتأليف و لصيغته و لبناء والوشى والنحير وما أشبه ذلك ، مما يوجب عتبار الآخر ، بعضها مع بعض حتى يكون لو وضع كل حيث وضع عنة تقتضى كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح^(٢)

ويعمد عبد قاهر إلى توضيح مفهوم النظم الحقيقي بقوله أنه لو كان لقصد بالنظم إلى اللفظ نفسه ، لكون العرض ترتيب المعاني في النفس ، ثم لطلق بالألفاظ على حدودها لكان ينبغي أن لا يختلف حال شيء في العلم بحسن لضم أو غير الحسن فيه ، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر^(٣) فهو إن كان يبين أن التركيب الحقيقي ، ينبغي أن يتمثل في الوصول إلى البنية العميقة ، وأن يراعى لتكلم قواعد صحتها ، المتمثلة في القدرة الكامنة في أذهان أصحابها ، إلا أنه يؤكد أهمية قدرة لتكلم على صياغة البنية السطحية ، وفقاً لقواعد الكفاءة في البنية العميقة ، فهو إذن يولى اهتماماً جلياً بما نطلق عليه في النظرية التوليديه التحويلية بالحدس اللغوي ، الذي يعد الوجه الأول للتفسير لدلالى من حيث اتصاله بجوهر التركيب ، والإمكانات التفسيرية المتصلة بالصورة التجريدية يذكر ذلك عبد القاهر قائلاً " ووضح من هذا كله ، وهو أن هد " لنظم " الذي يتواضعه البلاء ، ويتفاضل مراتب البلاغة من أجله ، صعبة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، وإذا كانت مما

(١) دلائل الإعجاز ٨٥

(٢) دلائل الإعجاز ٤٩

(٣) دلائل الإعجاز ٥١

يستعان عليها بالفكرة ويستخرج بالروية ، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا نفُس ،
أالمعاني أم بالألفاظ ؟ فأي شيء وجدت الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ ، فهو
الذي تحدث فيه صنعتك ، ويقع فيه صياغتك ونظمتك وتصويرك . (١)

لقد حسم عبد القاهر ، قضية ربط النحو بالدلالة ، وبين أهمية هذا الربط ، وضرورة
اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي ، تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليئية
التحويلية في إدارتها ، ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني * مظاهر
النظرية النحوية * والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات حيث أترك تشومسكي
ضرورة إدخال المكون الدلالي ، باعتباره مكوناً تفسيرياً ، من أجل إلقاء الضوء على
المكونات التركيبية التي يحدث فيها خرق في قواعد تصنيفها الجزئي ، بخروجها عن
قواعدها المألوفة ، وصورها البنائية المألوفة من أمثلة التركيب المجازية على شتى أنواعها ،
والتركيب الملبسة التي تحتل أكثر من مدلول واحد ، في بنيتها السطحية . لقد حسم عبد
القاهر هذه المسألة ، بضرورة الربط بين النحو والدلالة حيث نجده يثير تساؤلاً يقول فيه
"فإن قيل ، النظم ، موجود في الألفاظ ، على كل حال ، ولا سبيل إلى أن يعقل الترتيب الذي
تدعه في المعاني ، ما لم تنظم الألفاظ ، ولم ترتبها على الوجه الخاص " (٢) ويقدم عبد
القاهر رأي القائلين بأهمية التركيب دون الدلالة ، كما يقدم رأي القائلين بأهمية الدلالة دون
التركيب " قيل إن هذا هو الذي يعيد هذه الشبهة جذعاً أبدأً (جديداً) والذي يحلها ، أن
نتظر . أنتصور أن تكون معتبراً مفكراً في حال اللفظ حتى تضعه بجانبه أو قبله . وأن تقول
هذه اللفظة إنما صلحت لكونها على صفة كذا ، أم لا يعقل أن تقول " صلحت ههنا لأن
معناها كذا ولدالاتها على كذا ، ولأن معنى الكلام والفرض فيه يوجب كذا ، ولأن معنى ما
قبلها يقتضي معناها ؟ " (٣)

وهو يطلق على الرايين ، مؤكداً ضرورة الاهتمام بالأمريين معاً قائلاً " فإن تصورت

(١) دلائل الإمجاز ٥١

(٢) دلائل الإمجاز ٥١

(٣) دلائل الإمجاز ٥٢

لأول ، فعل ما شئت ، واعلم أن كل ما ذكرناه ناطق ، وإن لم يتصور إلا الثاني ، فلا
تخدعن نفسك بالأضاليل ، ودع النظر إلى ظواهر الأمور ، واعلم أن ما ترى أنه لابد منه من
ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم لخاص ، ليس هو ، لدى حسنة التفكير ، ولكنه شيء يقع
بسبب الأول ضرورة من حيث إن الألفاظ أوعية للمعاني ، فإنها لا محالة تتبع المعاني في
موضعها ، فإذا وجب معنى أن يكون أولاً في النفس ، وجب لفظ يدل عليه أن يكون مثله
أولاً في النطق ، فأنما أن يتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ،
وإن يكون الفكر في النظم الذي يواضعه ، سبغاً مفكراً في نظم الألفاظ ، وإن تحتاج بعد
ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من نظر ، ووهم
يتخيل إلى من لا يوفى لنظر حقه ، وكيف تكون مفكراً في نظم الألفاظ ، وأنت لا تعقل لها
أوصافاً وأحوالاً ، إذا عرفت عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا (١)

ثم يخلص عبد القاهر من ذلك نتيجة مفادها " أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً
من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً ، وأنت
تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تم لك ذلك ، أتبعها الألفاظ ، وقوت
بها آثارها ، وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً
في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ، وتابعة لها ، ولاحقة بها ،
وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق (٢)

ونستطيع أن نقرر بأن عبد القاهر ، قد أولى لجانب دلالي الأهمية ، التي أولاهما
لتركيب النحوي ، وأن كليهما في ميزان راجحان ، ولا ينبغي أن ينسب الواحد منهما
فضلاً أو تعيراً على الآخر ، فهما يتضاهران من أجل الوصول إلى النظم البليغ ،

ومن ثم ، فإن إدراك عبد القاهر لأهمية الجانب الدلالي ، لم يكن إدراكاً بأهميته
التفسيرية باعتباره مكوناً تفسيرياً فحسب ، كما يذكر ذلك تشومسكي ، بل إدراك بأهميته

(١) دلالات لإعجاز ٥٢ ٥٣

(٢) دلالات الإعجاز ٥٢ ٥٤

دعساره فداً مماثلاً للتركيب لنحوى " واعظم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم فى الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، ويجعل هذا السبب من تلك (١)

ولعل إدراك عبد القاهر بأهمية المكون الدلالى ، جعله يأتى به على وجه من التفصيل ، مبيهاً أنواعه المختلفة التى يكون عليها فى التركيب العربى حيث يقول " فالاسم يتعلق بالاسم ، بأن يكون خبراً عنه ، أو حالاً منه ، أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف ، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثانى أو بأن يكون الأول يعمل فى لثانى عمل الفعل ، ويكون الثانى فى حكم الفاعل له ، أو المفعول ، وذلك فى اسم الفاعل كقولنا " زيد ضارب أبوه عمراً ، وكقوله تعالى ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ (النساء ٧٥/٥) واسم المفعول كقولنا " زيد مضروب ظمأه " وكقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لِهَ النَّاسِ ﴾ (هود ١٢ / ١٠٥) والصفة المشبهة كقولنا " زيد حسن وجهه ، وكريم أصله ، وشديد ساعده " والمصدر كقولنا " عجبت من ضرب زيد عمراً " وكقوله تعالى ﴿ أَوْ إِنْ أَنْظَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ﴾ (البلد ٢٠ / ١٤ - ١٥) ويأتى يكون تمييزاً قد جلاؤه منتصباً فى تمام الاسم ، ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه ما يمنع من الإضافة وذلك بأن يكون فيه نون تثنية ، كقولنا " قفيزان برأ ، أو نون جمع كقولنا " عشرون برهماً " أو تنوين كقولنا " راقودٌ خلأً " و " مافى السماء قدر راحة سحاباً " أو تقدير تنوين كقولنا " خمسة عشر رجلاً " أو يكون قد أضيف إلى شئ فلا يمكن إضافته مرة أخرى ، كقولنا " لى ملؤه عسلأ ، وكقوله تعالى ﴿ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ (آل عمران ٩١/٤) (٢)

(١) دلائل الإيجاز ٥٥

ولعل عبد القاهر وهو يركز على أهمية الجانب الدلالى ، إنما يتفق مع طماء هذا الاتجاه " الذى يطلق عليه الدلالة التوليدية generative semantics ، هؤلاء الذين يمثلون التحدى الحقيقى للنظرية الأصلية عند تشومسكى ، أو لطف قريب من وجهة نظرهم ، التى ترى أن القدرة التوليدية generative capacity للقواعد النحوية ، تتمثل فى القواعد الدلالية وأن تحديد المعنى ومعرفته شرط فى معرفة العلاقة المسلم بها بين القواعد التحويلية والتركيب المعنى . وهم إذ يفترون ذلك إنما ينحدرون من المادة دليلاً يهتدون به فى معرفة الصلوات النحوية . انظر نظرية تشومسكى اللغوية ١٧٩ - ١٨٨ (٢) دلائل الإيجاز ٤ - ٥

أما تعلق الاسم بالفعل ، فإن يكون ماعلاً له أو مفعولاً ، فيكون مصدراً قد انتصب به كقولك " صررت صرباً " ويقال له " المفعول المطلق أو مفعولاً به كقولك " صررت ريداً " أو ظرفاً مفعولاً عنه ، رماً أو مكاناً ، كقولك " خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك " أو مفعولاً معه ، كقولك " جاء البرد والطبالة " ولو تركت الناقاة وفصيلتها لرضعها " أو مفعولاً له كقولنا " حنتك إكراماً لك ، وفعت ذلك إرادة الخير بك وكقوله تعالى ﴿ ومن يعمل ذلك استغفاراً من الله ﴾ (النساء ١١٤/٥) ويأن يكون مفعولاً من لفعل مبرلة لمفعول، وذلك في خبره كان " وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل طاب زيد نفساً " وحسن وجهاً " وكرم أصلاً " ومثله لاسم المنتصب على الاستثناء كقولك " حاضى القوم إلا زيداً " لأنه من قبيل ما ينتصب عن تمام الكلام ^(١)

وأما ما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب

أحدهما أن يتوسط بين الفعل والاسم ، فيكون ذلك في حروف الجر لتي من شأنها أن تُعدى الأفعال إلى ما لا يتعدى إليه بنفسها من الأسماء ، مثل أنك تقول " مررت " فلا يصل إلى نحو " زيد " وعمرو " فإذا قلت " مررت بزيد " أو على زيد " وجديه قد وصل " بالباء " أو " على " وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى " مع " في قولنا " لو تركت الناقاة وفصيلتها لرضعها " بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه ، إلا أن الفرق أنها لا تعمل بنفسها شيئاً ولكن تعين الفعل على عمله النصب . وكذلك حكم " إلا " في الاستثناء فإنها عندهم بمنزلة هذه " الواو " الكائنة بمعنى " مع " في التوسط ، وعمل النصب في المستثنى للفعل ولكن بوسطاتها وعون منها

والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به " العطف " وهو أن يدخل الثاني في عمل الأول كقولنا " حاضى زيد وعمرو " و" رأيت ريداً وعمراً " و" مررت بزيد وعمرو "

والضرب الثالث تعلق بمجموع الجملة ، كتعلق حرف لنفى والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه وذلك أن من شأن هذه المعاني أن تتناوله بالتغيير ، ويعد أن يسد

(١) دلالت لأعجابه ٥ ٦

إلى شيء^(١)

معنى ذلك "نك إذا قلت ماخرج زيد" و "مازيد خارج" لم يكن لنفى الواقع بها متناولاً الخروج على إطلاق ، من الخروج واقعاً من "زيد" ومسنداً إليه ولا يفرُّك قول في نحو "لا جل في الدار" إنها لنفى الجنس ، فإن لمعنى في ذلك أنها لنفى الكينونة في الدار عن الجنس ولو كان يتصور تعلق النفى بالاسم المفرد ، وكان الذي قالوه في كلمة لتوحيد من أن التقدير فيها "لا إله لنا أو في الوجود ، إلا الله" فصلاً من القول ، وتقديرًا له يحتاج إليه ، وكذلك الحكم أبدأ^(٢)

وإذا قلت "هل خرج زيد؟" لم تكن قد استفهمت عن الخروج مطلقاً ، ولكن عنه واقعاً من "زيد" وإذا قلت "إن يأتى زيد أكرمه" لم تكن جعلت الإتيان شرطاً ، بل إتيان من "زيد" وكذا لم تجعل الإكرام على الإطلاق جزءاً للإتيان ، بل الإتيان واقعاً منك ، كيف ؟ وذلك يؤدي إلى أشنع ما يكون من المحال ، وهو أن يكون ما هنا إتيان من غير أت ، وإكرام من غير مكرم ثم يكون هذا شرطاً وذلك جزءاً^(٣)

ليس من شك ، في أن عهد القاهر وهو يستعرض لنا على هذا النحو من التفصيل الشافى الوافى لنماذج التطبيق وأمثلة في العربية ، إنما يدل على اقتدار هذا الرجل العالم الممكن ، الذي أدرك بفضولته وذكائه العلاقة الوثيقة بين المكون الدلالي والبنية العميقة في التركيب النحوية وأن ما قدمه من أمثلة ونماذج للتطبيق بين الاسم والاسم ما كان يمكن الوقوف البتة فيها على دلالاتها الحقيقية ، إلا من خلال الوقوف على البنية العميقة الحقيقية للتركيب المذكورة

وما كان يمكن استقامة تلك التراكيب وصحتها في بنيتها السطحية ، إلا من خلال لتأويل الدلالي الصحيح

(١) دلائل الإعجاز ٦

(٢) دلائل الإعجاز ٧

(٣) دلائل الإعجاز ٧

ويفسر درجة نمكنه وإحاطته في إلقاء الضوء على لأبنية السطحية التي حصرها من صور تعلق الاسم بالاسم ، يقدم لنا أنصاً حصرأ كاملاً لصور تعلق الاسم بالفعل ، مبنياً أن تفسير النماذج التي ذكرها في بيتها لسطحية ، لا يتم بحال من الأحوال ، إلا من خلال الرجوع إلى المكون الدلالي ، الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً بالبنية العميقة للتركيب

كما يقدم - كذلك - تفسير جديرة بالاعتبار ، ويقف لمراء أمامها مبهوراً ، عندما يلجأ إلى المكون الدلالي ، لكي يقدم لنا تفسيراً للأبنية السطحية من أمثلة والنماذج التي ذكرها ، وأن هذا المكون يلجأ إلى البنية العميقة من أجل الوقوف على حقيقة معلق لحرف بكل من الاسم والفعل وما هو ، التفسير الدلالي الصحيح لمثل هذا التعلق

إن نظرة فاحصة منققة إلى الأمثلة والنماذج السابقة من لتعليق على اختلاف صورها لتدل دلالة قاطعة على إدراك عبد القاهر ، لأهمية المكون الدلالي ، وما يقدمه من توليدات وتفسيرات وتوضيحات على التركيب ، وأنه شديد الصلة بالبنية العميقة ، التي تعدّه بالتوليدات الدلالية هذه الخطوة الفذة ، التي لم يدرك تشومسكي حقيقتها إلا بعد سنوات من ظهور كتابه الأول كما أنه لم يدرك مدى فاعلية المكون الدلالي ، وقدرته على التعامل مع نماذج من البنية السطحية ، إلا بعد عشر سنوات أخرى ، بعد ظهور كتابه خواطر حول اللغة Reflection on language والذي كان بداية لتحلل تشومسكي من لاعتماد على التراكيب العميقة ، حيث لم تعد المكونات الدلالية مقتصرة في عملها على التركيب العميق وحده ، بل أصبحت تتعامل - أيضاً- مع بعض التراكيب السطحية * إن اتساع آفاق فكرة التركيب السطحي مناسب بكفى لإدراك دلالة الجمل ومعانيها عن طريق تطبيق القواعد المفسرة ، ومن أبرز هذه التراكيب التي استوجب هذا التعديل الجديد ، التراكيب المتعلقة بمسائل الابتداء Focus والكمي quantificatee والنفي وبعض الظروف even, only وبعض الأفعال المساعدة^(١)

وستطيع أن تؤكد أن الإضافات والتعديلات التي قام بها تشومسكي ، وما يزال وكذلك

(١) مباحث في نظرية الاسم ١١٨

ما يقوم بها رملاؤه وتلامذته هذه الإضافات وتلك لتعديلات ، بما حأت لتعالج القصور
 ساج عن عدم إدراج لمكون الدلالى فى أول الأمر ' ولا غرابة أن يقول تشومسكى " هناك
 شعور عام بأن لدلالة هى ذلك ، لجانب العميق أو لهام من اللغة ، وأن دراسة هذا الجانب
 لدلالى بما له من صلة فى فهم الدلالات العميقة من اللغة وإدراكها . هو الذى يضاف على
 الدراسة للعوية هذا الطابع المتميز والمميز (١)

أما القواعد التحويلية ، ونورها الهام فى إلقاء الضوء على البيئة السطحية للتركيب
 لنحوية لمنطوقة ، تلك لقواعد الفاعلة ، والتي يستعين فى عملية لتحويل للبيئة العميقة ،
 بالمكونات التركيبية والدالية والفونولوجية ، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن إدراك عبد لقاهر
 حيث عرضها فى كتابه القيم "دلائل الإعجاز" وبين نورها الفاعل ، فى إلقاء الضوء على
 التراكيب النحوية فلقد عرض باقتدار لقواعد التقديم ، داكراً أن ذلك " باب كثير الفوائد ،
 جم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية " ويبين أن التقديم يأتى على وجهين

أول تقديم يقال على نية التأخير ، وذلك فى كل شئ أقرته مع التقديم على حكمه
 الذى كان عليه وفى الجنس الذى كان فيه ، كخبر مبتدأ ، وإذا قدمته على المبتدأ ،
 والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك " منطلق زيد " و " ضرب عمراً زيد " ومعلوم أن "
 منطلق " و " عمراً " ، لم يخرجوا بالتقديم ، عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ، ومرفوعاً
 بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله ، كما يكون إذا أخرت .

الثانى وتقديم لأعلى نية التأخير ، ولكن على أن تنقل الشئ من حكم ، وتجعل له
 باباً غير يابه ، وإعراباً غير إعرابه (٢)

(١) نظرية تشومسكى القوية - ٢٠٠

(٢) دلائل الإعجاز ٦٦ وما بعدها

كما قدم ابن السراج حصراً للمواضع التى لا يجوز فيها التقديم وجمعها فى ثلاثة عشر موضعاً وهى

١ تقديم الصلة على الموصول لأنها كبعضه

٢ لصلة وابدل والعطف " ولا يجوز أن يقدم ما بعد حرف العطف عليه ، وكذلك ما اتصل به ، والذين أجابوا من ذلك
 شيئاً ، أجابوه فى الشعر ، ولو جئنا ما جاء فى ضرورات الشعر أصولاً نزل الكلام من جهة ، ففهموا حرف النسق
 مع المسوق به على ما سبق عليه وقالوا إذا لم يكن شئ يرفع لم يجر تقديم الواو والبيت الذى أنشدوه للأحوص
 (الواو)

كما يعرض لقواعد الحذف ، ويدكر أنها تكون إجبارية ، وتكون اختيارية ، فإنك ترى

== ألا يأسطة من ذات عرق
عليك ورحمة الله السلام
فإنما جار عندهم لأن الراجع في مذهبهم ، طه * وقد تقدم ولا يجزى للشاعر إذا اضطر أن يقول إن يريد أن يقرأ
قائماً
٢- المضاف إليه ولا يجوز أن تقدم على المضاف ، ولا ما تصرف به ولا يجوز أن تقدم عليه نفسه ما اتصل به
فتفصل به بين المضاف والمضاف إليه ، إذا قلت هذا يوم تضرب ريداً ، ولم يجز أن تقول هذا ريداً يوم تضرب
ولا هذا ريداً تضرب
أما قول الشاعر (السريع)

له من العزم من لأمها

وقوله (الواقف)

كما خط الكتاب بكف يوماً
يهودي يقارب أن يربل
فرعوا أن هذا لما اضطر فصل بالطرف لأن الظروف تقع مواقع لا تكون فيها غيرها *
ويعلق الخليل على ذلك بقوله أي بكف يهودي قال الله تعالى ﴿ زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ﴾ (الأنعام
١٣٧ / ٦) فرق بين المضاف والمضاف إليه قال أبو الريحاء (اليسيط)
كان أصوات من إيفالهم بنا
لواخر الميس أصوات القراريج
لراء كان أصوات لواخر ليس
وقال آخر (الطويل)

وقد رصوا نتي جزمعت عليهم
ومل جزم أن قلت وإبهاهما
عما آخر في العرب من لا لخاله
إذا خاف يوماً نبوة قباهما

يعنى آخر من لا أخاله ، لفصل بين المضاف والمضاف إليه

٤ - الفاعل
٥ - الاتصال التي لا تتصرف

٦ - ما أصل من الصفات تشبهاً بأسماء الفاعلين وحصل أصل الفعل
٧ - التمييز

٨ - العوامل في الأسماء والحروف التي تدخل على الأفعال

الأول من ذلك ما يدخل على الأسماء ، ويصل فيها فمن ذلك حروف الجر ، ولا يجوز أن يقدم عليها ما عملت فيه ، ولا
يجوز أن يفرق بينها ، وبين ما عمل فيه ، ولا يجوز أن يفصل بين الجار والمجرور خشواً إلا ما جاء في ضرورة الشعر
وأما الحروف التي تدخل على الأفعال ، فلا يقدم فيها الأسماء ، وهي على ضربين حروف عوامل وحروف غير
عوامل

٩ - الحروف التي تكون صدر الكلام

١ - التقريب بين العامل والمعمول فيه بما ليس العامل فيه سبب وهو غريب منه

١١ - تقديم المصغر على الظاهر في اللفظ والمعنى

١٢ - التقديم إذا أتى على المسمع أنه مقدم
١٣ - إذا كان العامل معني الفعل ولم يكن فعلاً

وقد نورد في السراج هذه المسائل على نحو تفصيلي ، وقد بين بوضوح ما يمكن أن يطرا على كل مسألة منها من تحولات

وتفسيرات ، مع عرض لوجهات نظر العلماء والباحثين في الأصول في النحو ٢ / ٢٢ ٢٥٤ / ٢

وانظر الجعل في النحو ، المنسوب للخليل بن أحمد ٢٨ وانظر كتب الضرورة الشعرية

به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفاده أريد للإفاده ، وتجدك تنطق ما بك
إد لم تنطق ، وأنم ما يكون بيانياً إد لم تُنْ ، ويذكر الحذف لإجباري بقوله ، مما يُعد
ن ليس فيه لغير الحذف وجه ، قول صرفة (الطويل)

إِذَا شَنْتُ عَمَّتِي بِجُرَاعٍ مَيْشَةٍ أَوْ لَزْدَقٍ مِنْ تَكْلِيثٍ أَوْ سَلْعَمَسَا
مُطَوَّقَةٍ وَرَقَةٍ تَسْحُجُ كَلَمَا دَنَا الصَيْفُ وَانْحَابَ لِرُبَيْعٍ مَائِجَمَا
وقول لبحري (الطويل)

إِذَا شَاءَ غَوَى صَبْرُهُ أَوْ غَدَا عَلَى عَقَائِلَ سَرَبٍ أَوْ تَقَصَّى رِبْرَسَا
وقوله (الكامل)

لَوْ شَنْتُ عُدَّتْ بِلَادٌ بِخَدِّ عَوْدَةٍ فَحَلَلْتُ بِسَبِينِ عَقِيْقَةٍ وَزَرْوَدَةٍ
معلوم أنك لو قلت " وإن شئت أن لا تُرقل لم تُرقل " أو قلت " لو شئت أن تعود
بلاد نجد عودة عدتها " أذهبت الماء والرواق ، وخرجت إلى كلام غث والفظ رث^(١)

وهو يذكر - أيضاً - أهمية الزيادة ، فيقول " وإذا عرفت هذا ، فإن هذا المعنى
بعينه قد أوجب في بيت ذي الرمة أن يضع اللفظ على عكس ما وضعه الباحثي ، فيجعل
الأول من الفعلين ، وذلك قوله (الواهر)

وَلَمْ أَمْدَحْ لَأَرْضِيَّةٍ بِشِعْرِي لَنَيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

أعمل " لم أمدح " الذي هو الأول ، في صريح لفظ " النيم " و " أرضي " الذي هو
الثاني في ضميره وذلك لأن إيقاع بني المدح على النيم صريحاً والمجئ به مكشوفاً ظاهراً
هو لواجب من حيث كان أصل لغرض ، وكان الإرضاء ، تعليلاً له " ثم يقول موضحاً ولو
أنه قال " ولم أمدح لأرضي " شعري لنيماً لكان يكون أنهم الأمر فيما هو الأصل وأباه
فيما ليس بالأصل " ^(٢)

(١) دلائل الإعجاز ١٤٦ وما بعدها

(٢) دلائل الإعجاز ١٧

ويوضح عند القاهر أيضاً أهمية الريادة بصورة أوضح فيقول ولهد الذي ذكرنا من أن للتصريح عملاً ، لا يكون مثل ذلك لعمل للكناية ، كان لإعادة اللفظ في مثل قوله تعالى ﴿ وَيَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقُّ نَزَلَ ﴾ (الإسرء ١٧ / ١٠٥) وقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لَهُ أَحَدٌ ﴾ (الإحلاص ١١٢ / ٢-١) من الحسن والمنهجة ، ومن لفخامة والنبل مالا يحق موصفه على نصير وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإصرار فقليل " ويالحق أنزلناه وبه نزل " و " قل هو الله أحد هو لصمد " نعمت الذي أنت واجده الآن (١)

وإذا كان عند القاهر الجرجاني ، هو لغارس لجلي - حقاً في ميدان النحو التحويلي ، على النحو الذي أكدناه ، من إدراكه للعديد من الأسس والمنطقات ، التي عتمدتها النظرية التوليدية التحويلية سواء عند تشومسكي رندها وصاحبها أم عند تلا مدته ورملائه

فإن سيبويه ، العالم لنهوى الجليل ، صاحب أول عمل نحوي متكامل يصل إليه ، وبالرغم من كونه يمثل مرحلة النشأة والتكوين لهذا العلم العربي ، وأن النشأة من شأنها أن يعنورها شيء من القصور ، أو عدم الوضوح ، فإن الذي لا شك فيه أن كتاب " سيبويه " قد جاء في صورة مثلى ، وعلى درجة عليا من درجات الرقي العلمي ، ولا ينبغي أن تصدر أحكاماً مجعفة ، تصم هذا العمل الجليل بالصعوبة أو بعدم المنهجية والاتساق متعللين بأنه يمثل البداية التي من شأنها أن تنس على نحو من عدم الوضوح والاكتمال (٢)

إن إعادة قراءة الكتاب ، في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث ، أمر ضروري ، من واجب علمي ، تتطلبه ضرورات التقديم لهذا التراث العربي الذاخر

ينبغي إذن على علمائنا وباحثينا ، أن يتوقفوا ملياً أمام هذا الصنيع ، وأن

(١) - لائل الإعجاز ١٧

(٢) لا ينكر بعض هذا كتاب وأثره ، إلا نجد ، فقد مال الكتاب ، بحسب القدماء والمحدثين من العلماء للعربى والسما ، ولا

يسمع المجال لشكر أقور نعلماء وينقريظهم وثنائهم على كتاب وصاحبه فقد صممه سيبويه مسبووت الدراسة اللغوية من أصوات وأبنية وتراكيب ، على نحو من الإيقان والإحكام

يستخلصوا من تقسيماته ومصطلحاته ، مقاصدها الأساسية ومعانيها الجوهرية لى
شبر إليها ، وكيف أنها لا تختلف في كثير من مقاصدها عن سواها من التصانيف
، تقسيمات التي تقدمها المناهج اللغوية الحديثة

من مواربة فاحصة مدققة بين ما ذكره سيبويه عن سقاية الكلام واستحالة في با
عقده لذلك سماء ^(١) باب لاستقامة من الكلام والإحاطة ^(٢) الذي يقسمه إلى خمسة
أقسام قائلًا ^(٣) فمعه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو
محال كذب ^(٤) ثم يمثل لهذه الأقسام الخمسة بقوله

- ١ - فأما المستقيم الحسن فقولك أنتيك أمس ، وساتيك عد
- ٢ - وأما المحال ، فإن تنقص أول كلامك ماخره ، فتقول أنتيك غداً ، وساتيك أمس
- ٣ - وأما المستقيم الكذب ، فقولك حملتُ الجبل ، وشربت ماء البحر وبحوه .
- ٤ - وأما المستقيم القبيح ، فإن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك قد زيداً
رايت ، وكى زيداً يأتيك ، وأشباه هذا
- ٥ - وأما المحال الكذب ، فإن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس ^(٥)

لقد جعل سيبويه الكلام المستقيم ثلاثة أقسام وهي

- ١ - المستقيم الحسن ٢ - المستقيم الكذب ٣ - المستقيم القبيح

في حين جعل الكلام المحال في قسمين اثنين وهما

- ١ - المحال ٢ - المحال الكذب

فالكلام عنده إذن قسمان اثنان لا ثالث لهما وإن مقارنة فاحصة ، تؤكد لنا بوضوح
مدى الصلة بين مصطلحي الكلام المستقيم ، والكلام المحال عند سيبويه ، وبين

(١) الكتاب ١/ ٢٥

(٢) الكتاب ١/ ٢٥

(٣) الكتاب ١/ ٢٥-٢٦

مصطلحي لكلام لأصولي والكلام غير لأصولي عند تشومسكي

ولكننا لا نعدم إلى جانب هذين المصطلحين الأساسيين وجود مصطلحات أخرى ،
تتصل بالمصطلحين السابقين ، ويمكن تصنيف هذه المصطلحات إلى مايلي

١ جيد	٢ عري	٣ كثير
٤ جائز	٥ - قيس	٦ - غلط

ونأتي هذه المصطلحات في الكتاب ، على صور متنوعة من الأوصاف والمسميات، على
النحو الآتي

- ١ وفي مصطلح جيد يقول أيضاً جيد نافع وأقوى وأجود وأكثر
- ٢ وفي مصطلح عري يقول أيضاً عري جيد ، وعري حسن ، وعري جيد حسن ،
وعري جائز وعري كثير
- ٣ وفي مصطلح كثير يقول أيضاً أكثر ، وأكثر وعربية كثيرة ، وأكثر وأجود ،
ولغالب في كلام الناس ، وأعرف وأكثر وليس بالكثير ، وقليل ، وأقل ، وقليل
خبيث
- ٤ وفي مصطلح جائز يقول أيضاً جائز بعيد ، وجائز قبيح ، ولم يجر ، لا تقول ،
ولم يجرز إلا في الشعر
- ٥ - وفي مصطلح غلط يقول أيضاً خطأ وضعيف وهبيث

ولا شك أن هذه المصطلحات ، بأوصافها ومسمياتها المختلفة ، تمت بصلة من
أصوات بالمصطلحين الأساسيين ، الاستقامة والإحالة ، وأنها جميعاً تتعلق بمسألة
الاعتماد على الحدس اللغوي

ويهم في هذا المقام ، أن يؤكد مجموعة من الأمور الهامة ، التي اعتدها سيوييه
أساساً لكون الكلام مستقيماً أو محالاً ، فيما يسمى عند تشومسكي ، بأصولة الكلام وعدم

أصوليته أو فيما سماه سيبويه عريباً أو جيداً أو كثيراً أو غيرها من لمصطلحات لى
يعتمد فيها الباحث أو العالم اللغوى على الحدس اللغوى ، أو لتخمين لصحيح لدى
شومسكى أيضاً

ومن تحليلاً لعناصر لى التى أوردها سيبويه ، يؤكد - لى - أن هذه لى يتواهر
لها أسباب أصوليتها وعير أصوليتها من جنب ، وأسباب مقبوليتها وعدم مقبوليتها من
جنب حر

فى قوله أما المستقيم الحسن فقولك ، أتيتك أمس ، وسأيتك غداً ^(١) فإن
لجملتين السابقتين ١ - أتيتك أمس ٢ - سأيتك غداً ، جملتان أصوليتان ، جاتا
متناسبتين ومتوافقتين مع القواعد التركيبية ، التى تحكم العلاقة بين الفعل والظرف فى اللغة
العربية ، حيث جاء الفعل الماضى - أتى - مع الظرف - أمس - الدال على الزمن الماضى
فى حين جاء الفعل المستقبل - سأيتك - مع الظرف - غداً - الدال على الزمن المستقبل
أيضاً ، مرعياً قواعد التصنيف الجزئى الخاصة بصحة التركيب نحوياً ، والسمات الانتقائية،
المتعلقة بالصحة الدلالية والفونولوجية

- وفى قوله - وأما المحال ، فإن تنقضى أول كلامك بأخره ، فتقول أتيتك غداً ،
وسأيتك أمس ^(٢) فإن الجملتين السابقتين ١ - أتيتك غداً ٢ - سأيتك أمس جملتان
عير أصولتين ، لأنهما تفتقدان عناصر المناسبة والموافقة مع القواعد التركيبية ، التى تحكم
العلاقة بين الفعل والظرف فى اللغة العربية ، فليس ثمة تناسب أو توافق بين الفعل الماضى
- أتى - والظرف الدال على الزمن المستقبل - غداً - وبين الفعل المستقبل - سأيتك -
والظرف الدال على الزمن الماضى - أمس - وذلك لأن صياغة الجملتين السابقتين ، قد
خرقت قواعد التصنيف الجزئى ، التى تتضمن صحة التركيب لنحوى كما اختلت بالتالى
قواعد الإسقاط الدلالية والفونولوجية

(١) انكتاب ٢٥ / ١

(٢) لكتاب ٢٥ / ١

أما قوله - وأما المستقيم الكذب فقولك - جعلت الحبل وشربت ماء البحر وبحوه

وقوله - وأما الحبل الكذب - فإن يقول - سوف شربت ماء البحر أمس - فإن
جمر لثلاث لسابقه - جعلت بحر - ٢ شربت ماء البحر - ٣ سوف شربت ماء
لبحر أمس

هذه الجمر جميعها جمر غير مقبولة - غير أن الحملتين الأولى جملتان تتوافق لهما
عناصر لأصولية ، من حيث التماسك و لتوافق بين عناصر الجملة فيهما - غير أنهما غير
مقبولتين من حيث دلالتهم - فالجملتان راعتا قواعد التصنيف لحرثي في التركيب المحوي ،
في حين نكدهما وقد -تقصنا قواعد الإسقاط الدلالية والسمات الانتقائية

أما الجملة الثالثة ، فهي جملة غير مقبولة ، وغير أصولية في آن ، لأنها تفقد إلى
عناصر المقبولة و لأصولية - فبالرغم من مراعاتها قواعد التصنيف لجرثي إلا أنها تفقد
لعناصر الكفاءة اللغوية لصحيحة كما أنها تمثل إخلالاً بقواعد إسقاط الدلالية والسمات
الانتقائية

- أما قوله - وأما المستقيم القبيح ، فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك
قد ريداً رأيت ، وكى ريداً ياتيك وأشياء ذلك - (١)

فالجملتان السابقتان ١- قد ريداً رأيت ٢- كى ريداً ياتيك - جملتان أصوليتان
غير أنهما قبيحتان ، فليس ثمة تناسب أو توافق بين عناصرهما التركيبية في قواعد الكلام
العربي لنثرى - بيد أن قواعد التركيب في الشعر العربي - تسمح بذلك على سبيل الضرورة
لشعرية ، وقد ذكر ذلك سيبويه في قوله - وذلك أن من لحروف حروفاً ، لا يذكر بعدها إلا
الفعل ولا يكون الذي يليها غيره ، مظهر أو مضمراً ، مما لا يليه الفعل إلا مظهرًا - قد
وسوف ولما وبحوه - فإن صطر شاعر مقدم الاسم - وقد أوقع لعل على شيء من
سببه لم يكن حد لإعراب إلا بالنصب وذلك نحو - لم ريداً - ضربته ، { إذا صطر شاعر مقدم

(١) الكتاب ١ / ٢٦

(٢) الكتاب ١ / ٢٦

(٣) الكتاب ١ / ٢٦

لم يكن إلا النصب في زيد ليس غير ، لو كان في شعر (لأنه يضم الفعل إذا كان ليس مع
 يليه الاسم كما فعلوا ذلك في مواضع سمعناها إن شاء الله فإن قلت هل زيداً رأيت ،
 وهل زيد ذهب ، ولم يجر إلا في الشعر ، لأنه لما جتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل
 من صطر شاعر فقدم الاسم نصب ، كما كنت فاعلاً ذلك بقدر وبحسوها ^(١) وكذلك
 قوله ' و علم أن حروف الاستفهام كلها يتبع أن يصير بعدها اسم إذا كان الفعل بعد
 الاسم لو قلت هل زيد قام ، وأين زيد ضربته ، ولم يجر إلا في الشعر ، فإذا جاء في
 شعر نصيبته ، إلا الألف ، فإنه يجوز فيها الرفع والنصب ، لأن الألف ، قد يبدأ بعدها
 لاسم فإن جئت في سائر حروف الاستفهام باسم وبعد ذلك الاسم اسم من فعل نحو
 ضارب ، جار في الكلام ، ولا يجوز فيه النصب إلا في الشعر ، لو قلت هل زيد أنا ضاربه ،
 لكان جيداً في الكلام ، لأن ضارباً ، اسم وإن كان في معنى الفعل ، ويجوز النصب في
 شعر ^(٢)

ولعلنا فلنلاحظ مدى اعتماد سيبويه على المكون الدلالي في المصطلح المستقيم ، الكذب ،
 فعدم مقبولية هذا المصطلح راجع إلى الإخلال بقواعد الإسقاط الدلالية والسمات الانتقائية
 ' ومع ذلك نلاحظ أن سيبويه ، يعتبر الكلام المستقيم الكذب ، كلاماً مستقيماً قبل أن
 يكون كذباً ، ومن ثم لا يعود ويذكر هذا الصنف من الكلام في كتابه ، نستدل من ذلك أن
 سيبويه قد أقام في مجال تحليل اللغة ، فاصلاً واضحاً بين الدلالة والنحو ، واعتبر
 بالتالي أن الدلالة لا تدخل في تحديد استقامة الكلام ، أي أصولية الجمل ، ^(٣) .

يدلنا ذلك على أن القدرة التوليدية عنده تعتمد على لقواعد النحوية والمكونات
 التركيبية على عكس ما قررناه عند عبد القاهر ، الذي تؤكد تحليلاته السالف ذكرها ، أنه
 يجعل القدرة التوليدية للقواعد النحوية معتمدة على القواعد الدلالية ، في المقام الأول ، ولعل
 هذا الاختلاف ، يرجع إلى الاختلاف بين عالمين ، يهتم أحدهما بالصحة النحوية من أجل
 صحتها فحسب فيما يهتم الثاني بالصحة النحوية من أجل بيان وجوه البلاغة والفصاحة

(١) الكتاب ١ / ٩٩

(٢) الكتاب ١ / ١١

(٣) بحوث السنية عربية ٣٢

لقد استعنى سيبويه مادته للعوية التي تُسس عليها قواعد الكتاب من مصادر مبنوعة تشتمل على شواهد لقران الكريم ولشعر العرب والأمثال العربية، إلى جانب سماعه عن أفواه العرب الذين يثق في فصاحتهم وبيانهم ، وعدم إحراجه عن المستوى لصوبي لغة عربية الفصحى ، فقد أخذ مشافهة عن قذائل بضم وقنس وأسد وبعض طبري وهديل

فسيبويه إذن قد اعتمد على النوعين كليهما اللذين يمثلان مصدرُ لعادة للعوية وهما المادة المبونة للكتوبة ، ولادة المبطوقة المسموعة ، وهو على كليهما ، قد اعتمد على مصادر تعقل -- بحق متكلماً مستمعاً جيداً للغة لمراد برستها وتحليلها

لقد اعتمد سيبويه إذن ، شأنه في ذلك ، شأن أستاذه الحليل ومن سبقه من علماء اللغة العرب وبحاتهم على مادة لغوية غريبة ، تمثل بحق ، اللغة العربية الفصحى خير تمثيل ، فقد اعتمد على عينات لغوية عديدة ومنتوعة ، تمتد عبر لزمان ولمكان حيث نجده يستشهد بشعر ، من لعصر الجاهلي ومصدر الإسلام والعصر الأموي ، عبر مساحة زمانية تجاوزت الثلاثة قرون ، كما اعتمد على حوالي مائة وخمسين قبيلة وعشيرة عبر المكان وهو قد انتقاها من بين سائر قبائل العرب ، باعتبارها القبائل البدوية ، التي احتفظت بفصاحتها وبيانها ، ولم تصب ألسنتها بلحن أو بإحرف ، ولم تتأثر لغاتهم بلقوام أخرى من غير العرب

إننا أمام عالم نحوي ، قد أجاد اختيار مادته للغوية ، معتمداً فيها على حدس العربي الموثوق به ، وليس يعترض على قولنا هذا معترض ، فيقول بأن سيبويه كان يتخير شاهداً نحوياً واحداً أو أكثر لشاعر عربي من قصيدة طويلة ، من بين قصائده المتعددة ، أو أنه كان يبحر جملة أو عبارة أو عديداً محدداً منها ممن يسمعا عن أفواه روثه نون سماعه سائر جملة أو عبارة الأخرى العديدة

فمن المعلوم أن لناحث النحوي لا يمكنه بحر من الأحوال أن يعتمد على جميع الشواهد والحمل إلى ينتجها أصحاب اللغة لمعنه ، هذه الحصر والشواهد مهم تعددت

لا تمثل حصرُ لهذه اللغة تلك هي وجهة نظر هبولدت ، التي قرها تشومسكى بقوله
ليس من الجديد لقول أن اللغة مبنية على أساس نظام من القوانين ، تقرر بأويل جمع لغة
لكثيرة بغير حدود " ويقول أيضاً " إن هبولدت قد عبر عن هذا بشكل واضح قبل ما يزيد
عن قرن في مقدمته لعدم اللغة المشهورة بأن لغة تستخدم بشكل غير محدود وسنث
محدودة ، وأن قواعد اللغة، يجب أن تصنف العميات التي تجعل هذا ممكناً " (١)

نستطيع أن نذكر أن سيوييه ، قد اعتمد على منهج شامل في إطار جمعه للمادة
اللغوية، يعتمد فيه على أساس مساواة الحدس اللغوي ، للعربي الفصيح الموثوق بسلامة
لسانه وبيانه

إن اعتماد سيوييه على سنيقة العربي لسليمة ، هو اعتماد على كفاءة هذا العربي
ومقدرته اللغوية الصحيحة ، تلك الكفاءة اللغوية ، التي تمثل المعرفة الضمنية لدى المتكلم
بقواعد اللغة ، والتي تتيح له إنتاج الجمل على النحو الذي يجده عند تشومسكى ، وأن
عتماده على نطق الأعراب المتدربون سواهم ، هو اعتماد على أدائهم الكلامي ، واعتداده
بقواعد هذا الكلام المنطوق والأداء الفعلي الصحيح ، يأتي هذا الاعتماد متفقاً مع ما حددته
تشومسكى من قواعد الأداء اللغوي أو الكلام المنطوق ، الذي يأتي متفقاً مع قواعد الكفاءة
اللغوية ، أو مختلفاً عنه

إن اعتماد سيوييه في تصنيفه الكلام ، على أسس نحوية تركيبية ، كما هو الحال عند
تشومسكى واتباعه ، أمر لا يخفى على كل ذي نظر ويصر براء سيوييه وأقواله ، حيث إن
لكلام المستقيم في نظره ، هو الكلام المركب أو المعنى ، وفق الأصول اللغوية النحوية ،
والكلام لمحال هو لكلام الذي يحرف عن لأصول من حيث إن تركيبه أو بناءه لا يراعى
لقواعد التركيبية النحوية .

(١) مظاهر لنظرية البحرية ٢٥

– نظرية العامل بين الخليل وتشومسكي

حضنت نظرية العامل باهتمام اللغويين المحدثين ، في الربع الأخير من القرن العشرين ، حيث عرضت هذه النظرية نفسها على ساحة دراسات اللغوية ، بحيث أصبح النموذج الأمثل ، عند علماء النظرية لتوليدية لتحويليه بعد ألف تشومسكي (N. Chomsky ١٩٦٥) رائد هذه النظرية ومؤسسها على هامش حول نظرية العامل ، مسبباً أهميتها وفعاليتها في تحليل التراكيب النحوية ، وإلقاء الضوء عليها (١)

ينطلق نظرية الربط لعامل على عدد تشومسكي ، من منطلقين أساسيين يتسم بهما عناصر التركيب النحوي ، هذان الأساسان هما

١- الأثر " Trace "

٢- المضمرة " Pronominal " (في حالة كونه مستترأوليس له تمثيل صوتي)

أولاً الأثر " Trace "

يأتى في صورة مركباً اسمي ، أو مركب حرفي ، وهو يشتمل على قرنية بالمواضعة فحينما تنتقل مركباً اسمياً في التبشير مثلاً من مكان المفعول إلى مكان البؤرة (بمعنى انتقاله من موضع المكمل النحوي إلى موضع المسند إليه) يترك هذه المنقول وراءه ، مركباً اسمياً يشغل موقعاً لا يريد من كونه عنصراً معجمياً ، وليس مكوناً من مكونات التركيب ، يطلق عليه عجرة " node " يرود هذا المركب بقريبة تدل على أنه مربوط إحصائياً بالعنصر المعجمي ، لدى ينتقل إلى مكان لبؤرة ، وبهذا نستطيع بالمحافظة في البنية السطحية على العلاقات المحورية thematic relation عن طريق هذه الآثار

ثانياً المضمرة pronominal (لدى ليس له تمثيل صوتي منطوق)

فإنه يمثل المنطق الحقيقي التي يمثل حقيقة هذه النظرية ، فهو كما أسلفها مضمرة ولكنه من نوع خاص ، لا تمتك تمثيلاً صوتياً وهو يمثل لدى تشومسكي أهمية كبرى

١ Lectures on government and binding – introduction – ١٩٨٠
٢ Some concepts and consequences of the theory of government and binding – Cambridge M.L.T. p. ١٥ – ١٩٨٠

باعتباره مكوناً كبيراً Major Constituent يظهر في لنية لمكونية Constituent Structure مكان المركبات الاسمية الظاهرة ، إلا أن توزيعه يختلف عن توزيع هذه المركبات الاسمية الملموسة معجمياً ، لأن هذه المركبات يلزمها أن تأخذ علامة إعرابية بينما هذا المضمير ، ليس معمولاً حتى يمكن أن يظهر في التركيب في حالة كونه معرباً^(١).

وينمير المضمير "Pronominal" كما يرى تشومسكي ، بأنه يتضمن إمكانية كونه مضمراً من جهة ، وعائداً "enaphor" من جهة أخرى والمضمير كما هو معلوم ، لا يربط داخل الجملة ففي المثالين ١ - ضربه زيد ٢ - أعطيت زيداً إياه

فإن ضمير الغيبة (الهاء ، إياه) لا يمكن إحالتها على زيد ، لكنه يمكن إحالتها على مركب غير موجود في الجملة ، هذه الإحالة ، تسمى بالإحالة المنفصلة disjoint reference " بمعنى أنها منفصلة عن الإحالات الممكنة داخل الجملة وميدان الإحالة ، هو الجملة أو المركب الاسمي ، أو الإسقاط الأكبر بصفة أعم "Maximal projection" أما في المثال ، ١-دخل زيد مكتبه

فإنه يمكن إحالة الضمير على زيد ، لأن ميدان الإحالة المنفصلة ، هو المركب الاسمي (مكتبه) فالضمير متصل إحيالاً في المركب الاسمي ، ولكنه حر في الجملة ، ولذلك أمكن إحالته على زيد ، هذه الإحالة المنفصلة ، تنطبق على المضمير ، كما تنطبق على الضمير ، ففي المثال ضربه ، فإن في الجملة موضوعين المفعول ، وهو الضمير المتصل ، والفاعل وهو المضمير ، وهذا المضمير لا يمكن أن يشترك إحيالاً مع الضمير المتصل (المفعول) فالفاعل هنا لا يمكن أن يكون هو المفعول ، وكذلك الشأن مع المصدر ، إذا قلت أريد قتله

فإن فاعل القتل هو المضمير ، ومضمير هنا يرجع إلى زيد ، إلا أن الضمير المتصل (لهاء) لا يمكن أن يرجع إلى زيد والسبب هو أن المصدر والضمير المتصل (الهاء) متصلان إحيالاً^(٢) ويرى تشومسكي أن المصدر كالضمير في إمكان وجود مفسر له ،

(١) انظر للسيدات واللغة العربية ١٧١

(٢) انظر السمانيا-والغة العربية ١٧٣

د حل نفس الإسقاط وبناءً عليه ، يمكن اعتبار المصمر عائدٌ في نفس الوقت ، وفي ذلك يقول تشومسكي :^{١١} ننظر إلى المصمرات pronominals التي تدور محتوية صوتية لاحظوا أنها تشبه الصفات البارزة في كونها ليس لها سابق antecedent أو مفسرٌ في جملها أو هي لركب الاسمى لدى تحتويه ، والمصمرات تشبه أيضاً لغوئياً ، لأنها ذات مضمون إحالي في د بها ، ولكنها تأخذ إحالتها من سابقها ، أو تكون بأولها غير محصص Inet n t en interpretation وينقصها مرجع محدد وعلى هذا يمكن اعتبار مصمر عائدٌ وإطلاقاً من هذا ، التصور تتحدد الخصائص لإحالية مصمر ، لأنه مركب سمي كسائر المركبات الاسمية ، والمركبات الاسمية على نوعين

- ١ مركبات حرة إحالياً tree ٢ مركبات مربوطة إحالياً referentialy bound
- نظرية الربط الإحالي ، التي يقترحها تشومسكي تعتمد على مفهوم لعمل في صياغة المبادئ التي تكونها وهذه المبادئ هي

- أ كل عائد يجب أن يربط في مقولته لعاملية government category
- ب كل ضمير يجب أن يكون حراً في مقولته لعاملية
- ج كل تعبير محيل حر referential expression^(٢)

يتجلى لنا بعد هذا العرض ، لفهوم نظرية العامل والربط لسياقي ، عند رؤها تشومسكي أن المركبات الاسمية تكون على نوعين باعتبار لعمل

- ١ مركبات معمول فيها ٢ مركبات غير معمول فيها

وأن العوامل هي الفعل والحرف بالدرجة الأولى

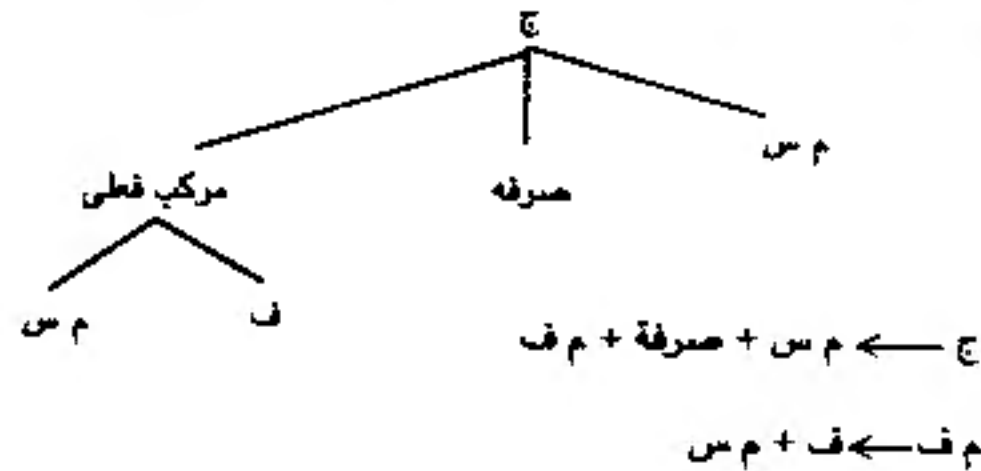
كما يتجلى لنا مدى أهمية عنصرى الأثر والمصمر ، في تأسيس هذه النظرية، وأن

(١١) يقترح د عبد القادر الفاسي بغيري أن يكون مصطلح مصمر ترجمة للفظ pronomina ومصطلح ضمير ترجمة للفظ pronoun فالمصمر يهد المعنى بشعر بصغير (المصمر لنا) عند تشومسكي ويشتمل مصمير المصمر the وكذلك مصمر وهو غير بارز

(٢) انظر المسامد واللفظ العربية ١٧٣

تحديد العامل والمفعول وما يصلح أن يكون معمولاً ، وما لا يصلح أن يكون معمولاً . كل هاتيك من الأمور الهامة : التي من شأنها أن تلقى الضوء على التحليل الشجري للتركيب النحوية في بنيتها السطحية ، بعد أن كانت من قبل تستند قدرتها التوليدية من البنية لعميقة .

لعل اعتماد نظرية العامل عند تشومسكي على عنصرين : الأثر والمضمر ، والتفاعل الكائن بينهما ، لعل هذا التفاعل الذي أدركه تشومسكي بين هذين العنصرين ، هو الذي دفعه أن يجعل منها قاعدة كلية ، يفترض فيها أن العامل في المفعول هو الفعل ، وأن العامل في الفاعل ، هو ما يسمى : الصيغة والتي تتضمن صفات التطابق والزمن والجهة . وهذا العمل يتم بواسطة افتراض بنية شجرية تولدها القاعدة الآتية : (١)



(١) انظر : القسائيات واللغة العربية ١٨٤ وينبغي أن نعلم بأن نظام التركيب في الجملة العربية يختلف عن القاعدة : التي ذكرها تشومسكي . في التخطيط الشجري ، حيث لا تتضمن جمل العربية وجود عاملين : أحدهما يخص الفاعل ، والآخر يخص المفعول ، فالعامل في تركيب العربية يعمل في الفاعل والمفعول على السواء . فالفاعل مثلاً ، يقوم بعملية الرفع في الفاعل والتنصب في المفعول . والفعل التام ، يقوم بالرفع في المبدأ والنسب في الخبر وهكذا . . .

والعامل في العربية إما أن يكون لفظياً ، مثل الفعل والحرف والأداة ، ولما أن يكون معنوياً كالابتداء وقد يكون العامل ظاهراً وقد يكون مخفياً ، وقد يجوز الحذف وقد يجب ، كما هو وارد في أبواب المدح والذم والتحذير والاختصاص .

غير أن فكرة العامل ، تأثرت بالمناهج الفلسفية واللغوية ، وبدلاً من نظرة العلماء والنحاة في أن العامل هو نتاج لعملية التفاعل والتأثر بين عناصر التركيب ، أصبح ينظر إليه على أنه بمنزلة العلة من المعلوم ، ولم يعد الأمر مقصوراً على علة واحدة ، وإنما على علة متعددة أوصلها بعضهم إلى المائة ، وقد ظهرت قضايا فلسفية ومنطقية في النحو العربي ، مثل باب : التنازع ، الذي نتج عن عدم قبول اجتماع عاملين في معمول واحد عقلياً ، ومن ثم فإن النحاة عندما حدث واجتمع العاملان وتنازعا معمولاً واحداً ، ذكروا للمعمول عاملاً واحداً دون الآخر .

إن فكرة التأثير هذه مع اختلاف الأسس والمنطلقات التي تتسم بها أية لغة عن غيرها من اللغات ، كانت هذه الفكرة ؛ هي الباعث لنظرية العامل في النحو العربي ... وينبغي أن ندرك أن هذه الفكرة ، كانت مستقرة في أذهان النحاة العرب ، منذ بدايات التفكير النحوي . لقد أدرك النحاة العرب قدرة التفاعل والتأثير بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعض .

ولعلنا نلاحظ أن الخليل بن أحمد ، وهو من أوائل النحاة الذين أدركوا فكرة العامل وأولوها الأهمية والاعتبار ، فقد جاءت هذه الفكرة - في أغلب الظن - من ملاحظاته ذلك التفاعل بين الحروف والحركات والكلمات ، مما جعله يطمئن إلى أن هذه الظواهر اللغوية ، سواء أكان منها ما يتصل بالبناء أم ما يتصل بحركات الكلام ، ترجع إلى هذا التأثير الكامن في طبيعة الحروف والكلمات ^(١)

والذي لا شك فيه ، أن نظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تنويع الحروف، ومراقبته الكلمات في ثنائيات التاليف ، وملاحظته التفاعلات اللفوية بين الأصوات والكلمات ^(٢) . لقد كان الخليل وهو يتلوق بحروف العربية ، ويحدد مخرجها ومدارجها ، فإنه - كذلك - كان معنياً بمعرفة تآلفها وانسجامها من جهة ، وتنافرهما وتباعدها من جهة أخرى . وكان يرى " وهو يرصد نماذج الحروف ، إن لبعضها تأثيراً في بعض ، بل تأثيراً في بناء الكلمة .. ولاحظ أن بعض الحروف أقوى من بعض " وأن للغوى تأثيراً في الضعيف ، ولذلك كانوا يقسمون القوى إذا اجتمع في كلمة واحدة ^(٣)

وكان من نتيجة إدراك هذا التأثير بين الحروف ، كشف اللثام عن المظاهر اللغوية الصوتية المتمثلة في ظواهر الإدغام والإبدال والإعلال وغيرها من ظواهر القلب والإتباع . كما أدرك الخليل " أن لبعض الحركات تأثيراً في بعض .. ومن هنا نفهم حركة

(١) الخليل بن أحمد - أعماله ومنهجه ٢٣٩

(٢) الخليل بن أحمد - أعماله ومنهجه ٢١٧

(٣) الخليل بن أحمد - أعماله ومنهجه ٢٤٠

الإتباع في الإعراب كما في قرأة : الحمد لله ، بكسر الدال ، وكما في قولهم : " هذا جحر
ضرب خرب " بكسر الباء في كلمة : خرب . وبين أن تألف الحركات في العربية ، إنما يرجع
إلى ما يطلق عليه الانسجام الصوتي بين الحركات : فالعربي لا يآلف توالي أربع حركات في
كلمة واحدة ، إلا أن يكون في الكلمة حذف . كما أدرك الخليل - أيضاً - وجود التفاعل في
الكلمات ، حين يتألف بعضها مع بعض " ولم يكن ليدرس الحروف إلا على أنها مقدمة
طبيعية لدراسة الكلمات أو لدراسة تأليف الكلام منها حيث نجده يتتبع الكلمات ، راصداً
استعمالاتها المختلفة ، ومراقباً ما يطرأ على هذه الكلمات من تغيير ، حيث أدرك أن بعض
الكلمات يلزم حالة واحدة ، وتلك الكلمات هي المبنية ، وبعضها الآخر يتغير بتغير التراكيب ،
لإعرابها عن المعاني المختلفة التي تتعرض لها في التأليف .

لقد وصل الخليل من خلال إدراكاته للأصوات والحروف والكلمات ، على النحو الذي
أسلفنا ، وصل إلى دراسة جديدة ، هي الهدف من هذا كله ، إنها تتعلق بأسباب تغيير
أواخر الكلمات بتغيير موقعها في التراكيب ، ومما لا شك فيه أن أساس هذه الدراسة ، هو
الكشف عن المؤثرات المختلفة : التي تؤدي إلى مثل هذا التغيير ، هذه المؤثرات ، هي
العوامل .

ومن هنا ، فإننا نؤكد أن فكرة العاكمل في النحو العربي ، قد نشأت نشأة لغوية حقاً
ابتداء من التأثير والتفاعل بين الأصوات والحروف ، وانتهاء بالمؤثرات القاطعة في تغيير
أواخر الكلمات داخل التراكيب المختلفة .

ولسنا نحتاج إلى جهد كبير ، لكي نؤكد أن النحاة العرب ، قد أدركوا فكرة العامل ،
وأن أبواب النحو العربي كله ، قائمة على هذا الفكرة ، وأنها نشأت كما ذكرنا نشأة لغوية ،
من خلال عنصر التفاعل والتأثير ، وأنها بذلك ، تكون قد استمدت أصولها من ذات المعين
الذي استمدت منه النظرية التوليدية التحويلية نظرية " العامل والربط السياقي " وأنهما
قدكروا من معين واحد !

وليس من شك أن نظرية العامل في النحو النحو العربي ، قد انحرقت عن مفهومها ،

الذى رسمه نحائنا الأوائل ، ذلك المفهوم المبني على مبدأ التفاعل والتأثير بين العناصر اللغوية المختلفة . التى تهم فى بناء الجملة ، بعدما أقحمت الدراسات الفلسفية والمنطقية والفقهية على مصطلحات الدراسات النحوية !

وبعد .. فإن تشومسكى وهو يبذل قصارى جهده من أجل بناء نظرية لغوية متماسكة قد أيقن بعد العديد من الإضافات والتعديلات والتحسينات التى أجراها على نظريته منذ ظهورها فى كتابه التراكيب النحوية سنة ١٩٥٦ م ، نقول بأنه أيقن أن : نظرية العامل والربط السياقى ، تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال ، بحيث أصبحت القواعد التوليدية قادرة على إعطاء التفسير الكامل والتحليل اللغوى الشامل للتراكيب النحوية ، فى بنيتها السطحية بون لجوء إلى قواعد التحويل فى الأبنية العميقة .

وإذا كانت هذه النظرية ، وهى تمثل الكفاءة التوليدية المثلى التى توصلت إليها النظرية التوليدية التحويلية ، بعد جهد وعمل ومثابرة امتد إلى ما يقرب من ربع قرن ، فجاءت نظرية العامل فى نهاية المطاف لتككل هذا الجهد وتلك المثابرة ، فإن الخليل بن أحمد ، قد أدرك أهمية العامل وقدرته قبل ألف عام أو يزيد ، وأنه أدرك أهميته منذ البداية فى دراسته للأصوات ، ومن ثم فإن تشومسكى وإن كان قد انتهى بنظرية العامل ، فإن الخليل ، قد ابتدأ بها !

لقد أخلص علماءنا الأفاضل ، علماءنا العرب الأوائل فى دراستهم للغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، فبذلوا الجهود المحمودة للكشف عن خصائص تلك اللغة الشريفة بكل ما أوتوا من ثاقب نظر وعمق إدراك .

فجزاهم الله عن جهودهم خير الجزاء .

والله تعالى ولى التوفيق .

إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير

د . حسام البهنسالى

فى يوم الخميس ٢٠ من ذى القعدة ١٤١٢ هـ

الموافق ٢٢ من إبريل ١٩٩٢ م